# المشرق

## المئة الثالثة لوفاة يسوعيَّين جليلَين

### القديس يوحنا بركمانس والمكرم الكردينال بلرمين

للاب لويس شيخو اليسوعي

يقول الروح القدس في الاسفار المقدَّسة ان ذكر الصدّيقين يثبت على طول الزمان وها نحن نجد مصداقاً على صحة هذا القول في تذكار المئة الثالثة لرجلَين من عبيد الله توفيا بمثل هذه السنة في رومية العظمى لم يكد يفصل بين موتهما الصالح شهر واحد زيد بهما شاباً بلجيكيًّا مرآة البرارة انتقل الى جوار ربّه في عزّ شبابه يُدعى يوحنا بركمانس وشيخاً كبيراً زيَّن كنيسة الله مدَّة ثمانين سنة بجمع فضله وسعة علومه وقداسة حياته يعرفهُ الشرق والغرب معاً المكرَّم الكردينال بلرمينس الايطالي. فانَّ بلجيكة وايطالية يتباريان في اكرام هذين الرجلين العظيمين اللذين شرَّفا ذينك القطرين في مدَّة حياتهما كما سترى وماتا جنباً لجنب في عاصمة الكثلكة بعد ان التمس الشاب بركة الشيخ الجليل وشهد الشيخ على برارة الشاب وسامي فضله

#### ١ القديس يوحنا بركمانس

هو الزنبقةُ اليقق التي ابهج بهاؤها نظر السماء والوردةُ العطرة التي سرَّت الكنيسة بأريجها والمحرقةُ التي تنسَّم الله رائحتها الذكيَّة بالرضى. قال احد الفلاسفة انَّهُ لا يعرف على الارض مشهداً اجمل واشهى من نظر شابٍ عاش باراً ومات باراً دون ان يدنّس ثوبهُ بجأة الخطيئة. ويوحنا بركمانس في مقدَّمة الذين يستحقُّون هذا الثناء الطيب كما تثبتهُ شهادة الوفر من الشهود العيان الذين صحبوهُ في كلّ ادوار حياته

## ابناء الصالح

كان مولد يوحنا بركمانس في ١٣ آذار سنة ١٥٩٩ في مدينة صغيرة من اقليم برابنت من اعمال بلجيكة تدعى ديست ليست بعيداً من حاضرة لوفان . وكان والداه اغنى بالخيرات الروحيَّة منهما بغنى العالم فلم يألوا جهداً في تربية ابنهما وكان بكر اخوته الخمسة الذين اشتهر منهم ادريان فبشَّر بالايمان في جزائر الفيليپين في رهبانية الاوغسطينيين ثمَّ شرل الذي خلف اخاهُ في الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ سيُّهُ يوحنا الذي اقترن بالزواج وبعد وفاة قرينته دخل في مصاف الكهنوت وصار قانونيًّا على كنيسة مدينته سان سولبيس التي كان خدمها سابقاً كوافه

ففي هذه التربة نبتت تلك الغرسة المختارة فنمت وترعرعت مشمولة بنظر السماء والارض فلم يكد الولد يبلغ سنَّ الرشاد حتَّى اظهر من الفضائل ما لم يُعهَد في امثاله من تُقى ووداعة وصبر على الاوجاع وإكرام للوالدين حتَّى قيل فيه كما قيل في سيِّه القديس يوحنا المعمدان : «ما عسى ان يكون هذا الصبيّ»

وكان مع حداثة سنه ينهض باكرًا من الفراش فيسرع الى الكنيسة ليخدم هناك قدَّاسين او ثلاثة قدَّاسات بكل ورع وتقوى . وثبت على عادته هذه الحميدة حتَّى في ايَّام دروسه قبل ذهابه الى المدرسة . وكان اذا وجد في نهاره فراغاً من الشغل بادر الى مناجاة الله في الصلاة وهو يجد فيها من العذوبة والسلوان ما يصغِّر في عينه الالعاب واللاهي الصبيانيَّة

باشر يوحنا الدرس في السنة السابعة من عمره وانكبَّ عليه بتنهى الرغبة والنشاط . وكان الله انعم عليه بذهن ثاقب وفؤاد ذكي فما لبث ان فاق على اقرانه واضحى لهم قدوةً في طلب العلم كما كان مثالهم في الفضيلة

ولمَّا بلغ العاشرة من عمره شعر في باطنه بدعوة الله الى العيشة الاكليريكيَّة فاستعدَّ لها بدرس اللغة اللاتينيَّة ومبادئ العلوم . واذ رأى انَّ والديه لا يستطيعان القيام بنفقة دروسه دخل بيت احد الرهبان المدعو بطرس إمريك الذي كان جمع في داره بعض الفتية النجباء ليُعنى بتهذيبهم ويخرِّجهم على الآداب الكهنوتيَّة . فانضمَّ

يوحنـاً اليهم ليخدمهم ويكتسب بخدمتهم معاشهُ ويواصـل بصحبتهم دروسهُ الاكليريكيَّة

فما مرَّ على الاب اَمريك بضعة ايَّام حتَّى عرف اَيَّة درَّةٍ ثمينة ربحهـا فلم يعتبر يوحنَّا كخادم بل كملاك يمرضهُ على فتيتهِ ليتشبَّهوا بهِ في حركاتهِ وسكناتهِ . فكان هو صباح مساء ساعياً في كل حاجاتهم لم يدع واحداً منهم يأخذ عليهِ خللاً في خدمتهِ بل كان يسبق رغائبهم ويؤدي لهم خدماً اختياريَّة لم يكن مضطرًّا اليها

ومن العجب العجاب انَّ هذه الاشغـال لم تَثْنهُ عن النجاح في دروسهِ ولا عن اتمام رياضاتهِ الروحيَّة . فكان اذا فرغ من خدمتهِ اسرع الى كتابه او جثا راكعـاً امام صورة تقويَّة للبتول العذراء مريم التي رضع مع الحليب عبادتها وكرَّس نفسهُ لها في مزارٍ قريب يُدعى مونتاغو كان يتردد اليهِ لاكرامها . واذ حظي في تلك الاثناء بالتقرُّب لاوَّل مرَّة من المـائدة الالهيَّة زادهُ القربان الاقدس حرارةً حتَّى خيل لرفقتهِ انهُ احد الارواح السماويَّة المتقمصة بجسم بشريّ

بقي يوحنَّا ثلث سنين في خدمة الاب اَمريك وتـلامذتهِ ومع كونهِ لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمرهِ كان نبغ في دروسهِ الثـانويَّة وهو يستعدّ لختامهـا بالدروس البيانيَّة والخطابيَّة . بيد انهُ في غضون ذلك قد جرت لهُ محنٌ كادت تقطع آمالـهُ من دعوتهِ الاكليريكيَّة فانَّ والدتهُ أُصيبت بمرض مزمن وشعر ابوهُ بعجزهِ عن القيام بأود عائلتهِ فاستدعى ابنهُ يوحنَّا وعرض عليهِ احوال بيتهِ وطلب منهُ ان يساعدهُ في مهنتهِ

فكان كلام والدهِ هذا كصـاعقةٍ انقضَّتْ عليهِ فخرَّ على اقدامهِ بازاء فراش اوجاع والدتهِ واجهش باكياً ثمَّ استحلف والديهِ بألَّا يصدَّاهُ عن اتباع صوت الله الذي يدعوهُ الى الكهنوت وبقي كـذلك جاثياً مذرفاً للدموع السخينة حتَّى اثَّر كآبهُ في قلب والديهِ التقيَّين فخـافا ان يقاوما مشيئة الله واطلقـا لهُ الحرِّيَّة لاتمام دروسهِ على شرط ان يسعى بنفسهِ بامر معاشهِ

الَّا انَّ الله لم يهمل يوحنَّا واذ كان صيت براعتهِ قـد انتشر في وطنهِ أَلهم كاهنين فاضلين بأن يسعفاهُ في مواصلة دروسهِ في بلدتهِ اوَّلاً ثمَّ في مدينة مالين احدى حواضر بلجيكة حيث استخدم للقانونيّ فرولمون كما خدم الكاهن اَمريك وتمكَّن

حضور المدارس المنشأة هناك وكان حيثما يمرّ يحرز لهُ محبّة الجميع بمناقبهِ الفريدة
ذا فارقهم اسفوا على فقدانهِ اسفهم على فراق اعزّ الخلّان . ولثقة القانوني فروامون
انتدبهُ الى نظارة ثلثة اولاد من اسرة شريفة كانوا في عهدتهِ فتولّى الامر بغيرتهِ
هودة حتّى اصبحوا بتدبيرهِ وحكمتهِ اطوع اليهِ من بنانهِ فحبّب اليهم الفضيلة والعلم
هِ اكثر منهُ بأقوالهِ وزرع في قلوبهم بذار البرّ والطهارة كما كانوا يقرّون بذلك
بقيّة حياتهم

وبينما كان القديس بركانس منكبًّا على هذه الاعمال لم يكن ليهمل دروسهُ
كليريكيّة بل كان يتفرّغ لها في ساعات الليل واطراف النهار . وحدث في غضون
ك انّ الرهبانيّة اليسوعيّة تلبيةً الى دعوة بلديّة مالين فتحت في هذه المدينة مدرسةً
نيف الناشئة فيها وكان ذلك سنة ١٦١٥ . فتقاطر الشبّان اليها ليستقوا من مناهلها
دبة . ورغب يوحنّا بركانس ان يحضر ايضاً دروسها البيانيّة والخطابيّة فعزّ الامر
معلّميهِ السابقين لئلّا يفقدوا تلميذًا كاملًا مثلهُ فتصدّوا لهُ برهةً لكنّ القديس
ت على عزمهِ واخذ يتردّد الى المدرسة الجديدة وهو باقٍ في خدمة القانوني فروامون
قضى يوحنّا سنةً ونصف في مدرسة الآباء اليسوعيين ختم فيها الآداب اللاتينيّة
لّم اليونانيّة واصاب في كلتا اللغتين قصب السبق على اقرانهِ . لكنهُ وجد فيها
ائل جديدة لنموّ عبادتهِ وتقديس نفسهِ بفضل مرشديهِ كالتأمّل اليومي وفحص
سير . ومن ذلك ايضاً انهُ انضوى الى اخويّة العذراء المنشأة للطلبة فكان من
س اعضائها ولم يكتفِ بالفرائض المعتادة لاكرابها بل كان يصوم السبت وفي
موقات اعيادها لينال شفاعتها

وكان يوحنّا لم يفكّر قبلًا الّا بالدعوة الكهنوتيّة الّا انهُ لمّا عرف الآباء اليسوعيين
ى عياناً فضائلهم شُغف حبًّا برهبانيّتهم وسمع صوت الله يدعوهُ الى عيشة
كمال في طغمتهم على انّهُ لم يشأ ان يتسرّع في امرهِ فعمد الى الاستحرار بالصلاة
وطلب مشورة ابيهِ الروحيّ والفحص المتكرّر عن دعوتهِ حتّى لم يبقَ لهُ ريبٌ في
يئة الله . ومذ ذاك الحين نوى ان يقطع كل علاقة مع العالم مهما وجدهُ في طريقهِ
العوائق ولاسيّما من قبل والدهِ الذي توسّل بكل الوسائل ليردّ ابنهُ عن قصدهِ .
كنّ القديس برسائلهِ وكلامهِ اثبت لهُ بالادلّة الواضحة انّها هي ارادة الله فلا يجوز

للانسان ان يحول دونها. فاراد ابوهُ ان يختبر دعوتهُ على يد بعض الاصحاب من رهبان وغيرهم فما عاينوا ابنهُ قليلاً حتى وافقوهُ على عزمهِ واقرُّوا بصحَّة دعوتهِ واقنعوا اباهُ بتخلية سبيلهِ

## الراهب الكامل

ما نال يوحنَّا الاذن من والدهِ باتِّباع دعوتهِ حتَّى بادر الى دير ابتداء اليسوعيين في مالين دون ان يذهب الى بلدتهِ ليودِّع اقاربهُ لئلَّا يلقى موانع جديدة تعترضهُ في سبيل دعوتهِ. وكان اوَّل ما فاه بهِ عند دخولهِ الدير: « لقد كسرتَ يا ربِّ اغلالي فانِّي اقدِّم لك ذبيحة الشكر ». والحقّ يقال ان يوحنَّا مذ وضع يدهُ على المحراث لم يلتفت الى الوراء بل اخذ على نفسهِ ان يسير الى ذروة الكمال. واذ رأى ساعة دخولهِ احد الاخوة المساعدين يشتغل بحراثة الجنينة تناول المحول من يدهِ وجعل يكرب الارض ليفتتح حياتهُ الرهبانيَّة ببعض اعمال التواضع

وجد برُكمانس يوم دخولهِ دير الابتداء في ٢٤ ايلول ١٦١٦ سبعين شاباً من ابناء وطنهِ جحدوا مثلهُ العالم والباطلهُ وطلبوا خدمة الله في الرهبانيَّة وكان بينهم الادباء والشرفاء والعلماء وذوو الخصال الفريدة والمناصب العالية فما انتظم في سلكهم حتَّى عدَّ نفسهُ كالاخير بينهم وكخادمهم اماَّ هم فما لبثوا ان اعتبروهُ كملاك مرسل من الله ليكون بينهم كمثال حيّ للكمال الرهبانيّ

وكان اوَّل ما باشر بهِ في ابتداء حياتهِ الرهبانيَّة انهُ تعمَّق في درس قوانين القديس اغناطيوس لئلَّا يفوتهُ في حفظها شيءٌ مهما كان طفيفاً فسار بموجبها ولم يحدْ عنها ذرَّةً حتَّى قيل عنهُ انَّهُ احيا تلك القوانين في سلوكهِ ولو ضاعت يوماً لوجدوها في شخصهِ وكلّ سيرتهِ. وقد سعى رفقتهُ في ان يراقبوهُ لعلَّهم يرون في تصرُّفهِ ولو نقصاً خفيفاً او هفوةً زهيدةً فخاب مسعاهم واقرُّوا ليوحنَّا بتمام الكمال

اماَّ القديس فكان على خلاف ذلك يزيد تواضعاً ويلتمس من مرشديهِ أن يتشدَّدوا عليهِ ويوبِّخوهُ على نقائصهِ ويفرضوا عليهِ الاعمال المذلَّة الشاقَّة وقد اختار بين الفضائل الرهبانيَّة تلك التي تزيدهُ تجرُّداً من نفسهِ وتقرُّباً من الله ولاسيَّما الطاعة وهي من مميِّزات الرهبانيَّة اليسوعيَّة فانَّهُ كان يمارسها بكل دقَّة نحو كلّ من كان

لهُ عليهِ بعض السلطة حتى من المتدنين مثلهِ فكان يتمم اوامرهم كأنها من الله لا يفرق بين الاوامر السهلة او الشاقة . وكان تواضعهُ يدفعهُ الى مزاولة الاعمال الدنيئة ككناسة الدار وتمريض المرضى وخدمة المساكين

وكذلك الفقر الرهباني فان يوحنَّا بركمانس كان يختار لنفسهِ احقر الألبسة ويكتفي بما يرضى بهِ الفقراء المدقعون من مطعم ومشرب بل يزيد على ذلك ما يسوّاهُ لهُ روح التقشُّف والاماتة الاختياريَّة حتَّى اضطرَّ الرؤساء الى ان يردعوهُ عن افراطهِ في ذلك خوفاً على صحَّتهِ

وفي مدَّة الابتداء أطلق خصوصاً العنان لعبادتهِ لاسيَّما نحو القربان الاقدس ونحو البتول الطاهرة جعلها كمحور حياتهِ الروحيَّة . فكان يزور في نهارهُ متواتراً ابن الله سجين هياكلنا ليحيا بهِ ويضرم قلبهُ بحبهِ ولا يذهب الى النوم الَّا بعد تقدمة رقادهِ للاله الساهر في قربانهِ ليلاً مع نهار لينوب عن البشر في اكرام ابيهِ السماويّ . امَّا البتول فكان مشغوفاً بحبها ساعياً في اكرامها ومجتهداً في نشر عبادتها . ومما يُخبر عنهُ انَّهُ كتب بدمهِ صكًّا وقيَّد نفسهُ بالنذر ان يدافع عن عقيدة حبل العذراء بلا دنس الخطيئة الاصليَّة التي لم تُعلن بها الكنيسة الَّا في اواسط القرن الماضي فاستحقَّ بذلك ان تشملهُ ملكة السماء بأسبغ نعمها

وكان بركمانس معَ اجتهادهِ في تحصيل الفضائل ونفورهِ من كلّ الشهوات العالميَّة دمث الاخلاق ليّن العريكة سهل المعاملة باسم الثغر يخدم الله بفرح وسعة قلب ويجتذب قلوب رفقتهِ الى الله فيهتفون عند نظرهِ : « ما ألذّ وما اشهى ان يسكن الاخوة معاً »

قضى بركمانس سنتين في دير الابتداء في مالين احرز في مدتهما جميع الفضائل الرهبانيَّة وختمها بابراز النذور الثلثة المعتادة اي الفقر والعفَّة والطاعة مرتبطاً لبقيَّة عمرهِ بطريقة ابناء القديس اغناطيوس

ما انتهى يوحنَّا من محن الابتداء حتَّى انتدبهُ رؤساؤهُ الى درس الفلسفة فارسلوه الى رومية العظمى حيث كانت نخبة شبَّان الرهبانيَّة اليسوعيَّة على مقربةٍ من الكرسي الرسوليّ ومن رئيسهم العامّ . وكانوا تقدَّموا اليهِ قبل سفره ان يودّع اهلهُ فكتب الى ابيهِ يعلمهُ بالامر الَّا ان الله كان استدعى والدهُ الى دار البقاء قبل ذلك باسبوع .

فلمّا وقف على الامر رفع الى الله الادعية لراحة نفسه ثم سعى جهده في تعزية والدتهِ واخوتهِ واهتمّ طاقتهُ بمستقبل اخوته الصغار موصياً بهم الاقارب والاصحاب وخصوصاً القانوني فروامون وليّ نعمتهِ

## قدوة المدارسين

كانت الاسفار في ذلك العصر طويلة شاقّة معرّضة لعدّة اخطار فتجشّم القديس هذا السفر بأمر الطاعة مع رفيقٍ آخر يشبههُ بصلاحهِ وتقاهُ فقطعا طريقهما بشهرين ونيف وكانا حيثما يحلّان يستلفتان نظر من يراهما بحشمتهما وحسن سلوكهما . وكان وصولهما الى رومية في آخر يوم من السنة ١٦١٨ في شدّة الزمهرير وكان السفر انهك قواهما حتّى ان رفيق يوحنّا لم يلبث ان أصيب بداء عُضال فتوفّي بعد قليل

أمّا القديس فانّهُ منذ اوّل ايام قدومهِ استوقف نظر رئيس الرهبنة العام الاب موشيوس ڤيتلسكي وبقيّة الآباء حتى هتف احدهم : « انّ بلجكة قد انعمت علينا بملاكٍ محض » وقال غيرهُ : « كنّا نفتقد لويس غونزاغا فها قد احياهُ الله في شخص هذا الشابّ »

كانت المدرسة الرومانيّة حيث دخل يوحنّا بركانس من اعظم مدارس الرهبانيّة اليسوعيّة يتخرّج فيها نحو مئتين من الرهبان الواردين اليها من كل اصقاع اوربّة يدرسون فيها العلوم الدينيّة العليا اعني الفلسفة واللاهوت وتفسير الكتاب المقدس والحقّ القانوني وكان لمعلّميها شهرة ذائعة في كل الانحاء بطول باعهم وكثرة تآليفهم كفى بذكر بعض من شرفوا اذ ذاك تلك المدرسة كالكردينال بلرمنيوس والكردينال دي لوغو والاب قرنيليوس الحجريّ وغيرهم كثيرين . وكان رئيس المدرسة الاب ڤرجيل سيپاري رئيس لويس غونزاغا سابقاً وكاتب ترجمته كما صار رئيساً على بركانس ونشر ايضاً ترجمة حياتهِ وهو اصدق المؤرخين

واوّل ما أثّر في بركانس عند وصولهِ الى رومية نعمةُ وجودهِ في عاصمة الكثلكة ومركز الايمان المستقيم تُحدق بهِ من كل جهة مآثر الدين الجليلة كالكنائس الفخيمة ومقامات القديسين الشهيرة وقبور الشهداء مع قربهِ من نائب المسيح وخليفة هامة الرسل فزادتهُ تلك الآثار عبادةً وأنهضت بعواطفهِ الى عالم البقاء

واذ كان تذكار لويس غونزاغا حيًّا بين رفقته الدارسين وقبره في كنيسة المدرسة قصد يوحنا ان يتَّخذهُ كشفيعهِ الخاص ويقتدي بكل امثالهِ وقد شهد من عاش معهُ انهُ اشبههُ الشبه التامّ وقال الواحد منهم: « لم أَعُد اقرأ ترجمة لويس لأَنّي ارى فضائله حيَّةً في سيرة يوحنا » وما لا يُنكر انهُ لم يدع من قانون الرهبنة والمدرسة صغيرًا او كبيرًا الَّا انجزه بكل تدقيق اذ يرى فيهِ مشيئة الله

وما سبق لنا ذكرهُ من فضائلهِ في دير الابتداء في مالين قد ثبت عليهِ في رومية او بالحري قد نمى وازداد كثيرًا ولولا ضيق المكان لروينا لهُ في كلّ فضيلة آثارًا عجيبة تنبئ بعظم براءتهِ وذلك على سواء في كل اطوار حياتهِ في امورهِ الروحية او في سلوكه مع رؤسائهِ وفي تصرُّفهِ مع اخوتهِ الرهبان. فكان مع ربّهِ خشوعاً ورعاً ومع رؤسائهِ بسيطاً سليم النيَّة ولاوامرهم مذعناً ومع رفقتهِ كلًّا للكلّ وديعاً لطيف المعاشرة مستعدًّا لخدمتهم في كلّ الحاجات مهما كلَّفهُ ذلك من المشاق

واذ كان الدرس اهمّ اشغالهِ انكبَّ عليهِ بكلّ قواهُ ليكون العلم في يدهِ وسيلةً لخدمة الدين. فكنت تراهُ يُصغي بكل حرص الى تعاليم معلّميهِ في الفلسفة والرياضيَّات ثم يعود اليها في انفرادهِ ليدرك كلّ مشاكلها واذا اعتاص عليهِ شيء منها عرضهُ على معلّميه واستمدّ من الله ادراكهُ بالصلاة ثمّ يدوّن خلاصة تلك التعاليم في دفاترهِ ويردّدها في ذهنهِ ثمّ يتباحث فيها مع اقرانهِ حتَّى انَّ كثيرين منهم كانوا يقصدونهُ في صعوباتهم فيحلّها لهم حلًّا مرضياً. واذ رآهُ الرؤساء في ختام الفلسفة قديرًا على مدافعة كل قضاياها امام جماهير المعلمين والتلامذة اوعزوا اليهِ بان يستعدَّ لهذا الامتحان في حفلة يحضرها وجوه رومية وعلماؤها فقام بهذه المهمَّة احسن قيام حتَّى اثنى على سعة علمهِ كلّ الحضور مع اطرائهم حشمتهُ وتواضعهُ في اجوبتهِ

## حبّ الابرار

على انَّ اجتهادهُ العظيم لهذه الحفلة الحافلة ليحقّق آمال معلّميهِ فيهِ أَثَّر في صحَّتهِ تأثيرًا مؤلماً ولاسيَّما انَّ ذلك وقع ابَّان الصيف الذي تفتك في فصلهِ الامراض في اهل رومية وعلى الاخصّ في الغرباء

ففي الشهر الاوَّل من شهر آب شعر يوحنا بوعك في صحَّتهِ فلقيهُ رئيسهُ في

طريقه ووجده ممتقع اللون عليل القوى فامره ان يذهب الى مستشفى الدير ليُري نفسهُ للاخ وكيل المرضى. فذهب ممتثلاً . فما عتَّم الاخ بعد فحص جسمهِ ان وجدهُ مصاباً بداء الرئة فقلق لذلك والزمهُ الفراش . فأحسَّ القديس باضطراب الوكيل فطمَّنهُ بقولهِ : « مهما حدث فاننا في يد الله ابينا فلتكن مشيئتهُ » ولمَّا اعلمهُ الاخ بعد مدَّة بخطر الموت ضمَّهُ الى صدرهِ شاكرًا لهُ على هذه البشرى

ثمَّ انتشر بعد ساعة خبر مرض برنكانس بين الرهبان اخوتهِ حتَّى عمَّهم الحزن كأنهم أُصيبوا باعظم المصاب وتباروا في الصلاة والدعاء الى الله ليحفظ لهم تلك الحياة العزيزة . لكنَّهُ تعالى وجد تلك الثمرة ناضجة لجنَّتهِ فآثر ان يقطفها وينقلها الى دار الخلود

سطا الداء على برنكانس مدَّة خمسة ايَّام كان فيها مثال الصبر الجميل والطاعة للممرِّضين والوداعة نحو كلّ من يعودهُ وهو لا يذكر اوجاعهُ الَّا كنعمة من الله معلناً بفرحهِ ان يموت في عنفوان شبابهِ كسلفهِ لويس غونزاغا وكان كلّ كلامهِ عن السماء وامور الابديَّة . ولولا امر رئيسهِ لكان اقتبل الاسرار الاخيرة جاثياً على الحضيض في هيئة التوَّابين والخطأة وطلب من الجميع السماح عمَّا فرط منهُ في حقهم فأجابتهُ دموع اخوتهِ لدى سماعهم هذا الكلام المشعر بتواضعهِ . وكان يعدُّ حياتهُ كلا شيء ويتوسَّل الى الاطبَّاء ان لا يُنفقوا عليهِ مال الرهبنة ويلتمس من اخوتهِ ان يكفُّوا عن طلب شفائهِ ليذهب ويتمتَّع برؤيهِ

وقد نمى خبر مرضهِ الى بعض اعيان رومية من ارباب الدين وغيرهم فأتوا ليعودوهُ ويطلبوا دعاءهُ وكانوا اذا خرجوا يصرخون : حقًّا هذا احد اولياء الله

ثمَّ تفاقم الداء دون ان يفقد القديس شيئاً من رشادهِ بل كان يزداد رغبةً الى مواجهة إلههِ وكان آخر ما فاه به اسم يسوع ومريم ولمَّا بلغ الحضور الى دعاء طلبة العذراء « يا عذراء العذراء يا امَّا طاهرة » اسلم الروح بكل هدوء وسكينة وتطايرت نفسهُ الى الاخدار السماويَّة . كأنَّهُ بلسان حالهِ يردِّد قول النبيّ : « ما اجمل الجيل العفيف الطاهر فانَّ ذكرهُ يبقى خالدًا » وكان ذلك في ١٣ من شهر آب سنة ١٦٢١ وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ

هذا هو البارّ القديس الذي تحتفل بلاد بلجيكة وطنهُ مع الرهبانيَّة اليسوعيَّة بالمئة

الثالثة لوفاته . فانَّ الله اراد ان يمجّده بعد موته بعدَّة معجزات باهرة بيَّنت ما لهُ عندهُ تعالى من الكرامة . فالكنيسة اذ بلغها خبر تلك الآيات اقامت لجنةً خاصَّة للبحث عن فضائل يوحنا بركانس السامية وعن العجائب التي جرت بشفاعته فلما تبيَّنتها ادرجت اسمهُ اوَّلاً سنة ١٨٦٥ في عداد الطوباويين على عهد بيوس التاسع ثمَّ بعد معجزات جديدة تحقَّقها ديوان المجمع المقدَّس نظمه السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٨ في سلك القديسين فعُدَّ احد انوار المئة الثالثة التي سطعت ضياؤها في الرهبانية اليسوعيَّة في رومية اي ثلثة من شبَّانها الكرام الاجلَّاء استانسلاوس كوستكا البولوني ولويس غونزاغا الايطالي ويوحنَّا بركانس البلجكيّ الذين لا تزال حياتهم تبعث في الناشئة المسيحيَّة روح التقى والبرارة

## ٢ المكرَّم الكردينال بلرمينوس

قد اعتبرنا الشاب الصالح الذي احبَّهُ يسوع لحفظه كلّ وصاياهُ ومشوراته (مرقس ١٠ : ٢١) فلنوجّه نظرنا الى الشيخ الجليل الذي شبع من الايام ولم يحدّ طول عمره عن سنَن الفضيلة والكمال . نريد بهِ المكرَّم الكردينال بلرمينوس سراج الكنيسة النير الذي جمع بوجب وصيَّة المسيح بين العلم والعمل فاستحقَّ ان يدعى بذلك عظيماً في ملكوت السماوات

### عبقريّة بلرمينوس

ولد الكردينال بلرمينوس في مدينة مُنتيلْشيانو من اعمال توسكانة في ايطالية في ٤ تشرين الاوَّل ١٥٤٢ يوم عيد القديس فرنسيس الاسيزي فدعي في المعموديَّة روبرتوس فرنسيس رومولس . وكانت اسرتهُ عريقة في الشرف واعرق في الفضيلة والبرّ ولاسيَّما امُّهُ شقيقة الحبر الاعظم مرسيل الثاني التي لم تدَّخر وسعاً في تربيته المسيحيَّة . وكأنَّ الولد قبل باوغه سنّ الرشاد ادرك نوايا والدته فكان في يدها كالشمع الرخص الليّن يسير فرحاً على كلّ تعاليمها الصالحة . وكان اوَّل ثمرة ذهنه الثاقب خطبةً صغيرة قالها في آلام المسيح امام والدته واخوته ثم اردفها بقصيدة لطيفة في مديح البتولية اندهش الكلّ لحسنها . وكان روبرتوس ذا صوت رخيم فاذا دعاهُ احد الى الغناء رسم على جبهته إشارة الصليب وغنّى الاغاني التقويّة ليس الّا وكان

يقول: «معاذ الله ان استعمل صوتي لغير خدمته تعالى ومديح الفضيلة»

كان الآباء اليسوعيّون فتحوا حديثاً مدرسةً في وطن بلرمينوس فألحّ على اهله ان يكون من تلامذتهم فما انتظم في سلكهم حتّى ظهر فضلهُ على جميع اقرانهِ بل كان شرفاً لمعلّميهِ. ومما يُروى عنهُ انّهُ سمع يوماً احد الاعيان يُحقّر تعليم اليسوعيين فقام للحال وذهب الى عمدة المدينة وطلب منهم ان يعيّنوا لجنةً تفحصهُ هو وبقيّة الدارسين في المدينة ليروا فضل معلّميه فاجابوا الى ملتمسهِ فخرج ظافراً من هذا الامتحان وافحم الثالبين

ثمّ عُقدت حفلة ادبيّة في المدرسة وعرض الدارسون مثالاً من انشائهم فقوبل خطاب بلرمينوس بالتصفيق الحادّ وطلبوا منهُ ان يعيدهُ لبلاغتهِ

وكانت شبيبة الاشراف في البلدة قد فتحت ناديا يتردّد اليهِ أدباؤها فارسلوا الى روبرتوس يدعونهُ ليخطب فيهم مع حداثة سنّهِ فابى اوّلاً ثمّ كرّروا عليهِ الدعوة الى ان اقنعوهُ فتألّبوا لاستماعهِ قائلين: «هلموا بنا نسمع عظة الملاك روبرتوس» فلم يخب ظنّهم فيهِ وكان لكلامهِ احسن وقع في قلوبهم

## الراهب والمعلم

كان ابو روبرتوس يعلّق على ابنهِ آمالاً بعيدة لاسيما في المناصب الدينيّة. غير انّ روبرتوس لم يشأ ان يُذعن لصوت اللحم والدم بل اراد ان يفحص دعوتهُ امام الله ويضحّي لها كلّ اعتبار بشري فانفرد اياماً بالخلوة وتأمل الحقائق الابديّة في رياضات القديس اغناطيوس فعلم دون مراء انّ الله يدعوهُ الى الرهبانيّة اليسوعيّة. فقام بينهُ وبين ابيهِ نزاع طويل كان لهُ فيهِ الظفر بمساعدة خالهِ اسكندر سرتين شقيق البابا مرسيل الثاني فقرأ الوداع لاهلهِ وسار الى رومية طالباً من الاب جاك لينيس خلف القديس اغناطيوس في الرئاسة العامّة على الرهبانيّة اليسوعيّة ان يقبلهُ بين رهبانهِ وكان بلغهُ ما لروبرتوس من الصفات الجليلة فقبلهُ دون تريّث وعافاهُ بامتياز خصوصي نادر جدًّا عن امتحانات الابتداء وامرهُ بدرس الفلسفة

وكان بلرمينوس ضعيف المزاج عليل الصحّة فزادتهُ دروسهُ انحرافاً الّا انّ جودة قريحتهِ وحصافة عقلهِ مكّنتاهُ من ادراك كلّ غوامض الفلسفة حتّى دُعي الى

المدافعة عن كلّ تعاليمها بحضرة جمهور الاساتذة والطلبة فأجمع كل الحضور على بُعد شأوهِ في كلّ فروع النظريّات (١

ففي إثر هذه الحفلة ارسلهُ الرؤساء الى مدينة الفنون الجميلة فيرنسة ليدرّس فيها الآداب اللاتينيّة . فلبّى دعوة رؤسائهِ وهو يشعر بانحطاط قواهُ لا يعلم كيف يقوم بهمّتهِ هذه الصعبة لكنّهُ انطرح عند اقدام السيّد المسيح في قربانهِ الاقدس وطلب منهُ بحرارة وثقة الصحّة والعافية ليخدمهُ كما يليق في الرهبانيّة ويتمّم اوامر رؤسائهِ . فقام معافًى بالصحّة التامّة ومذ ذاك الحين الى آخر حياتهِ لم يعد يشعر بضعف في جسمهِ ولم يتمّم فقط تلك السنة وظيفتهُ بل اضاف اليها عدّة اشغال كالمواعظ والارشادات ونظم القصائد . وفي السنة التالية علّم الخطابة في مدرسة أخرى وتكلّف باعباء مختلفة مدّة ثلث سنوات دون ان تصاب صحّتهُ بأذًى . وكان في خطبهِ اوّلًا يُعنى كثيرًا بالفصاحة وترويق العبارات لكنهُ في بعض الايّام دُعي الى الخطابة بغتةً فقضي عليهِ الارتجال فلحظ انّ كلامهُ زاد تأثيرًا في النفوس لسذاجتهِ فلم يَعُد بعد ذلك الى التأنق في الخطاب وانّما كان يستقي افكارهُ من مورد العبادة ومناجاة الله ثمّ يلقي الكلام عفوًا فيأتي بالثمر المرغوب

وفي تلك الاثناء قام القديس فرنسيس بورجيا بعد وفاة الاب لينس رئيساً عامًّا على الرهبانيّة اليسوعيّة فارسل بلرمينوس الى مدينة كاپوا ليدرّس اللاهوت فقضى هناك سنتين فقط فأتقن تلك الدروس التي لم يُحكمها غيرهُ الّا في اربع سنوات وقدّم عنها فحصاً علنيًّا عموميًّا في كنيسة جنوة الكاتدرائيّة أعجب بهِ كل من حضرهُ . وكان في درسهِ لا يطلب الّا وجه الله فيتّخذ العلم كوسيلة الى معرفة خالقهِ وزيادة حبّهِ لهُ

فلمّا عرف القديس فرنسيس بورجيا ما نالهُ بلرمينوس من الشهرة في جنوة اراد ان يرسلهُ الى مدينة لوڤان عاصمة بلجيكة ليجعلهُ فيها كسدّ بازاء سيل البروتستانيّة الزحاف الذي اندفع الى تلك الجهات . فذهب بارمينوس وهو لم يزل شمّاسًا بسيطًا . فعند وصولهِ عُهد اليهِ الوعظ في كنيسة المدرسة . فلمّا رآهُ الجمهور متأهّباً للخطابة

(١) وكان بين معلّمي بلرمينوس الاب يوحنّا الپانو علّمهُ العبرانيّة وهو الذي أرسل سفيرًا الى الموارنة في لبنان كما رويناه ذلك في المشرق سنة ١٩٣٠

وهو في مقتبل الشباب لا يزينهُ الاكليل الاكليريكي والدرع الكهنوتي اخذهم العجب وكادوا يزدرون بكلامهِ ومن ثمَّ اسرع الرؤساء وامروهُ ان يستعدَّ للرتبة الكهنوتيَّة فتمَّ ذلك فعلًا في السنة ١٥٧٠ ثمَّ عاد الى ارشاد المؤمنين فاقبل السامعون اليه بكل رغبة حتَّى ضاقت بهم الكنيسة واذ اتَّخذ كموضوع خطبهِ تفنيد الاضاليل البروتستانيَّة ذاع صيتهُ في كلّ انحاء بلجكة بل بلغ خبرهُ الى هولندة وانكلترَّة حتَّى ان كثيرين من اهلهما كانوا يأتون الى لوڤان ليسمعوا خطبهُ الدينيَّة فردَّ البعضَ منهم الى حجر الكنيسة

وكان بلرمينوس مع مواعظهِ في الكنائس يعلِّم ايضاً اللاهوت النظريَّ في كليَّة لوڤان فيدهش الجميع بعارضتهِ وقوَّة براهينهِ وسعة مداركهِ . الَّا ان تقواهُ وقداسة حياتهِ كانا يحيكان في القلوب اكثر من علمهِ . وقد وُجد في مفكِّراته انهُ كان يلتجئ في امورهِ الروحيَّة الى قلب يسوع الاقدس . فسبق بتعبُّدهِ نحوهُ عهدَ وحي الرب بهذه العبادة الى القديسة مرغريتا مريم

بقي بلرمينوس سبع سنوات في لوڤان وكان بلغ مسامع البابا غريغوريوس الثالث عشر ما قالهُ هناك من المجد الاثيل بردِّهِ غارات البروتستانت فامر الرئيس العام بان يستدعيهُ الى رومية ليتولَّى في المدرسة الرومانيَّة علم الجدال لنقض اضاليل ذلك العصر فأجاب بلرمينوس مسرعاً الى ما امرهُ بهِ رئيسهُ الَّا انَّ اهل بلجكة عذَّروا فراقهُ كمصاب عظيم لوطنهم فودَّعوهُ والقلوب آسفةٌ على فقد مثله كنزاً ثميناً

كان سفر بلرمينوس كثير الاخطار والبروتستانت يرصدونهُ في طريقه فأبدل ثيابهُ بثياب العاليين واخذ لنفسهِ احد اسمائهِ الثلثة فسمَّى ذاتهُ السيد رومولوس ثمَّ سافر برفقة بعض البروتستانت الذين لم يعرفوهُ فكانوا يُسرُّون بأُنسهِ وآدابهِ ولمَّا وصل الى جَنوة عاد الى لبسهِ الكهنوتيَّ فتعجَّب رفقتهُ من تغييرهِ زيَّهُ وقالوا: ما كنَّا لنظنَّ ان يسوعيًّا يبلغ الى هذا الحدّ من اللطف والوانة

جلس بلرمينوس على كرسيّ تعليم المجادلات في المدرسة الرومانيَّة اثنتي عشرة سنة (١٥٧٧—١٥٨٩) فكان يتناظر اليه اشراف رومية وارباب الاكليروس ليسمعوا تعاليمهُ وطلبوا كلهم منهُ ان ينقل تلك التعاليم للطبع فنُشرت بمجلَّدين ضخمين وراجت في انحاء اوربَّة اي رواج ونُقلت الى معظم اللغات الاوربيَّة . واجمع العلماء

على انها كانت ضربةً لازبة على المراطقة اللوتزانيين والكلوينيين والانغليكان . وممَّن شهد على فضل مجادلات بلرمينوس القديس فرنسيس دي سال فانهُ كان في رسالته بين المراطقة لا يأخذ معهُ الا ثلثة كتب كتاب صلاته والكتاب المقدَّس ومجادلات بلرمينوس ويقول : مع هذه الاسلحة الثلثة لا اخاف عدوًّا . وكان تاودورس دي بيز احد كبار زعماء البروتستانت يقول : ان مجادلات بلرمينوس قد أتلفتنا . وتقدَّمت اليصابات ملكة الانكليز الى علماء شيعتها بان يردُّوا على تلك المجادلات فلم يستطيعوا فامرت بإعدام كلّ من يُدخل منها نسخة في انكلترَّة لئلَّا يرتدّ اهلها الى دين اجدادهم . لكن اوامرها زادت رغبة الناس في مطالعتها وفقاً للمثل انَّ كلّ ممنوع متبوع حتَّى انَّ احد باعة الكتب في انكلترَّة كان يقول انَّ مجادلات بلرمينوس اغنتهُ اكثر من بقيَّة كتبهِ المبيعة . وخلاصة القول انَّ مجادلات بلرمينوس أوقفت تيَّار البدع البروتستانيَّة وفتحت ايضاً اعين كثيرين من الضالّين فارتدُّوا عن ضلالهم وكتبوا الى مؤلفها شاكرين لهُ على ما اوضح لهم من انوار الحقّ

ولمَّا كانت السنة ١٥٨٩ صارت امور فرنسة الى حالة سيئة بعد وفاة هنريكس الثالث وتحامل البروتستانت على الدولة حتَّى خيف من انقلاب بنت الكنيسة البكر وتحوُّلها الى المذهب البروتستاني فاراد البابا سكستوس الخامس خلف غريغوريوس الثالث عشر ان يتلافى هذا الخطر العظيم فارسل الكردينال غايتاني كقاصد رسولي ليسعى في تدبير الامور ثمَّ انتدب الاب بلرمينوس ليرافقهُ بصفة لاهوتيّ في المجادلات مع البروتستانت ونشرَ وقتئذٍ براءةً ممهَّمة اظهر فيها محبَّتهُ لفرنسة ورغبتهُ في رقيّها

ولنا في تاريخ هذه السفارة عدَّة شواهد على ما ادَّاهُ بلرمينوس في باريس من الخدم لكنيسة فرنسة بمناهضة البدع البروتستانيَّة وجَمع كلمة الكاثوليك من جملتها رسالة جليلةٌ وجَّهها الى كلّ اساقفة الدولة وسطَّر لهم واجباتهم لخلاص دولتهم فكان لكلامهِ صدى استحسان في كلّ القلوب وكان من اقوى الاسباب لكبح سورة البروتستانت ولردّ هنريكوس الرابع الى دين الملوك آبائهِ

ثمَّ عاد بلرمينوس في السنة التالية الى رومية فوكل اليه الرئيس العام الاب اكواڤيڤا مهنة مرشد روحيّ للمدرسة الرومانيَّة التي كانت تتربَّى فيها زهرة الرهبانيَّة اليسوعيَّة الواردين اليها من كل اصقاع اوربَّة ومنها خرج عدد لا يُحصى من عظام

الرجال فتولّى بلرمينوس إرشادهم في كلّ الآداب الرهبانيّة وأعدّهم طـاقةً جهدهِ الى ما ينتظرهم يوماً من اعمال رهبانيّتهم ومشاريعها المختلفة . وكفى فخراً بلرمينوس انّ بين الرهبان الموكولين الى عنايتهِ كان لويس غونزاغا قدوة الشبّان المتوفّى بين ذراعيهِ ووطنيُّنا الحلبي ابراهيم برجس الماروني شهيد الرهبانيّة اليسوعيّة في مصوّع

ومن الوظـائف المهمّة التي قام بها بعد ذلـك بلرمينوس رئاستهُ على المدرسة الرومانيّة السابق ذكرها مدّة سنتين (١٥٩٢—١٥٩٤) ثم رئاسة اقليم نابولي (١٥٩٤—١٥٩٧) كان في كلتاهما مثال الحكمة والعزم والمحبّة في كلّ اموره حتّى انّ الجميع كانوا يودّون لو يتولّى تدبيرهم فيرون فيهِ قدوة الرؤساء كما وصفهم القديس اغناطيوس في قوانينهِ لا يسير في كلّ اعمالهِ الّا بموجب الخير العمومي ومجد الله الاعظم . وفي تلك الاثناء توفّي الكردينال توله (Cl Tolet) اليسوعي فاحتاج البابا اقليمس الثامن الى لاهوتي حاذق في كلّ العلوم الدينيّة فاشار اليهِ الكردينال بارونيوس بتقليد هذه الرتبة الاب بلرمينوس

## الكردينال

كان احد الاسباب التي دفعت بلرمينوس الى الدخول في الرهبانيّة اليسوعيّة انّ ابناءها ينذرون الفرار من المناصب الاكليريكيّة كالرتبة الاسقفيّة وشرف الكردينالية والطمع بكل رئاسة . غير انّ احكام الله ربّما خالفت احكام البشر وهذا ما جرى لبلرمينوس فانّ ابتعادهُ من هذه المناصب الجليلة اضحى سبباً لتقليده اياها

وذلك انّ البابا اقليمس الثامن منذ اوقفهُ الكردينـال بارونيوس على فضل بلرمينوس فكّر في ترقيتهِ الى رتبة الكردينالية لئلّا يبقى ذاك السراج تحت المكيال . لكنّ بلرمينوس كان يمانعهُ على قدر استطاعتهِ ومثلهُ رئيس الرهبانيّة العام بموجب قوانين الرهبنة لكنّ الحبر الاعظم في آخر الامر حكم الحكم الفصل وفرض عليهِ بأمر الطاعة وتحت الخطأ الثقيل بان يقبل منصب الكردينالية فأذعن الى مشيئة الله مرغوماً وكان ذلك سنة ١٥٩٩ ولمّا أعلن البابا بعزمهِ امام المجمع الكردينالي قال : « انّنا قد خوّلنا الاب بلرمينوس منصب الكردينالية لانهُ فريد وحدهِ في كنيسة الله من حيث العلم ولانهُ ابن اخت ذلك الحبر الروماني الجزيل الشرف والسامي القداسة مرسيل الثاني »

دخل بلرمينوس في مصاف الكرادلة لكنهُ لم يغير شيئاً في بساطة سلوكهِ وشظافة عيشهِ وانما كان يردّد لمن يهنئهِ بمنصبه الجديد كلام الكتاب المقدس عن ناعمة في سفر راعوث: « لا تدعوني نُعمي بل ادعوني مُرَّة » مشيراً الى هنائهِ في الرهبنة وعنائهِ خارجاً عنها وكان يطلب بالحاح من اخوتهِ الرهبان ان يصلّوا لاجلهِ لينجو من اخطار تلك الوظيفة ومسئوليتها امام الله

ومن ثمَّ قصد ان يتمّم كلّ واجباتهِ دون مراعاة الاشخاص ويعيش مرتدياً بالارجوان عيشة اخوتهِ اليسوعيين في الفقر الاختياري والتواضع . اما رواتب المعاش التي عيّنها لهُ الحبر الاعظم فما كان ينفق منها الّا القليل لحاجات دارهِ وكان الكثير الباقي يصرفهُ كلّهُ على الفقراء والمحتاجين . والى كرمهِ هذا وعلمهِ معاً اشار الله بعد وفاتهِ اذ ظهر بلرمينوس لاحد الابرار برونق المجد وعلى جانبيهِ ملاكان في يد الواحد كتاب مفتوح وفي يد الآخر كيس دراهم صدقاتهِ التي بسببها دُعي أبا الفقراء

خدم بلرمينوس الكرسيّ الرسوليّ خدماً جليلة منذ وقف حياتهُ لهذه الدعوة بصفة كردينال فكان يباشر اعمال الكرادلة بهمّة لا تعرف الملل وكان اذا استشارهُ الحبر الاعظم في بعض المهامّ عرض فكرهُ بصدق وصراحة لا يأخذهُ في ذلك لومة لائم . وقد ظهرت نزاهتهُ هذه في عدّة امور لاسيّما في تحرير المكرَّم الفرنساوي الاب جان دلا بَرْيار منشئ رهبانيّة الفوليان الذي كان اوقعهُ اعداؤهُ في تهمة باطلة وبقي سبع سنوات معرَّضاً لسهامهم بازاء الكرسي الرسوليّ . ففحص بلرمينوس دعواهُ بكل حذاقة ونشاط واثبت شرعيًّا برارتهُ واعادهُ الى رهبانيّتهِ معزّزاً مكرَّماً

ومن مآثرهِ الجليلة دفاعهُ عن قضيّة النعمة الالهيّة والتوفيق بينها وبين الحرّيّة البشريّة وهي المسألة التي استفحل فيها الجدال بين الآباء الدومنيكان والرهبان اليسوعيين وكاد البابا اقليمس يحكم فيها للاوّلين فبيّن لهُ بلرمينوس الرأي الصواب واوقفهُ عن الحكم ولعلَّ البابا امتعض عن فعلهِ هذا نوعاً . ففضّل بلرمينوس خدمة الحقّ على رضاه

وفي السنة ١٦٠٢ احتاجت مدينة كابوا الى رئيس اساقفة يُعنى بشؤونها بعد وفاة راعيها فدعا البابا اقليمس بلرمينوس ورقّاهُ بيدهِ الى درجة الاسقفيّة . فمن وقتهِ خرج من رومية وسار كالراعي الصالح الى ابرشيّتهِ ليرعى شعبهُ على مثال الرُّسل الاوّلين .

والحق يقال أنهُ تجرَّد هناك لكل اعمال الخير والغيرة الرسوليَّة مدَّة ثلاث سنين بقي فيها فكان يزور ابرشيَّتهُ وكلّ رعاياها ويمنح سرّ التثبيت للاولاد وربَّما كان هو يسمي بتعليمهم مبادئ الدين وكان لا يدع احدًا او عيدًا الَّا يحظ فيهما الشعب وكان كثير الاهتمام بالآداب العموميَّة واستئصال العادات الذميمة وكان يهتمُّ خصوصاً بارباب الدين من كهنة او رهبان ليصلح ما يراهُ فيهم من النقص ويجمل حياتهم مطابقةً لشرف دعوتهم . وكان في كابوا كما في رومية يصرف كلّ اموال الكنيسة في اسعاف المعوزين والفقراء

وفي تلك الاثناء استأثر الله بنفس الحبر الاعظم اقليمس الثامن فسار بلرمينوس الى رومية ليشترك مع الكرادلة اخوتهِ في اختيار خلفٍ لهُ . فكانت اعين الجميع متَّجهة اليهِ وكثيرون يفكّرون في تقليدهِ تلك المهمَّة السامية امَّا بلرمينوس فصرف نظر الكرادلة عن نفسهِ وعدل بهم الى اختيار من كان يراهُ اهلًا لرئاسة الكنيسة جمعاء وذلك في الانتخابات الثلثة التي حضرها لمَّا قُلِّد البابويَّة لاون الحادي عشر القصير الايَّام (سنة ١٦٠٥) ثمّ بولس الخامس (١٦٠٥–١٦٢١) وغريغوريوس الخامس عشر (١٦٢١–١٦٢٣) وكانوا كلُّهم يجلُّونهُ ويعتبرونهُ كاشرف واقدس وأعلم رجال عصرهِ

ولمَّا صارت الخلافة الرسوليَّة الى البابا بولس الخامس امر بلرمينوس بان يبقى في رومية ليساعدهُ في تدبير الكنيسة . فتنزَّل حينئذٍ عن ابرشيَّتهِ لئلَّا تُصاب بأذًى في غيبتهِ فيقوم بشؤونها غيرهُ . فسكن منذ ذاك الحين رومية الى آخر عمرهِ اعني خمس عشرة سنة قضاها متفانياً في خدمة الكنيسة ومساعدة الحبر الرومانيّ

وقد لعب في تلك الحقبة ادوارًا مهمَّة لاسيما في الدفاع عن الكنيسة وتعاليمها فهو الذي أفحم بكتاباتهِ بعض البادقة الذين عصوا على الكرسيّ الرسولي مع زعيمهم پاولو سرپي . وهو الذي فنَّد ما كتبهُ ملك انكلترَّة جاك الاوَّل ضدَّ الكنيسة الرومانيَّة . وهو الذي بيَّن باجلى برهان حقوق الحبر الرومانيّ وعصمتهُ في تعليم الكنيسة ضدّ البدعة الجانسينيَّة والبدعة الغليكانيَّة فأعدَّ منذ ذاك ما حدَّدهُ بعدئذٍ المجمع الڤاتيكانيّ حتَّى دُعي بلاهوتيّ البابويَّة . وقد انتشرت تعاليمهُ هذه في كلّ الانحاء حتَّى انَّ اعداء الكنيسة ولاسيَّما في انكلترَّة كانوا يسمُّون الكاثوليك بلرمينيين او بابويّين

على انَّ قداسة بلرمينوس لم تكن دون علمهِ فانَّهُ مارس اسمى الفضائل بدرجة سامية كما اعلن بذلك المجمع المقدَّس في العام الماضي . وقد اراد الله ان يؤيد قداستهُ هذه بالكرامات حتَّى في حياتهِ فمن ذلك ما شهد بهِ كلّ اهل كابوا اذ احيا شجرة تين لاحد الفقراء المسمَّى سلفادور دي نيكندروس كانت احترقت وحُكم على حارقها بجزاء نقدي لكنَّ الكردينال امر صاحبها بان يذهب ويجني ثمارها واذ اكَّد لهُ هذا انَّها يبست ولم يبق منها لا ثمر ولا ورق كرَّر عليهِ الامر فذهب امتثالاً لامرهِ واذا بالشجرة مكتسية بالورق مثقلة بالثمر اللذيذ فقطف منهُ سلَّة قدَّمها للكردينال شكرًا لهُ فعُرفت منذ ذاك بتينة الكردينال القديس وقطع كثيرون من اغصانها فغرسوها كبركة في بساتينهم . ومثل ذلك الصيدُ العجيب الذي اجراهُ بامرهِ بعض فقراء الصيَّادين فتكرَّرت ببركتهِ معجزة الصيد التي رواها الانجيل عن السيد المسيح

وكان بلرمينوس بلغ السنة الثانين من عمرهِ وهو في تمام العافية الَّا انَّهُ بوحيٍ من الله عرف قرب زمان وفاتهِ وعيَّن سابقاً وقوعهُ في يوم عيد جروحات القديس فرنسيس شفيعهِ فطلب من الحبر الاعظم غريغوريوس الخامس عشر بان يعتزل عن الاشغال ويتعدّ لسفرهِ الاخير فاذن لهُ فاختار دار الرهبان اليسوعيين المبتدئين في رومية التي تُدعى بدار القديس اندراوس حيث كان توفي القديس استانسلاوس كوستكا وهناك استعدَّ للملاقاة ربّهِ بكل تؤدة وسكينة وكان مع ذلك يحضر الاجتماعات البابويَّة في اوقاتها . فلمَّا قرب عيد جروحات القديس فرنسيس شعر بانحطاط قواهُ واضطرّ الى ملازمة الفراش وكان يتكلَّم عن موتهِ بكل رغبة كأنَّهُ ذاهب الى مأدبة فاخرة . وكان سبقهُ الى الابديَّة ببضعة ايَّام يوحنَّا بركمانس السابق وصفهُ وكان عرفهُ جيدًا واثنى على فضيلتهِ وينشط نفسهُ بذكر وفاتهِ الصالحة ويتمنَّى ان يراهُ قريباً

ولمَّا علم الحبر الاعظم بدنوّ اجل بلرمينوس اراد ان يعودهُ بذاتهِ ليباركهُ فأتى اليهِ مع حاشيتهِ فاستعظم بلرمينوس تواضع الحبر الاعظم وصرخ عند دخولهِ : «سيدي لستُ مستحقًّا ان تدخل تحت سقفي» فوقع هذا الكلام في قلوب الحاضرين موقعاً عظيماً

ولمَّا كان صباح عيد جروحات القديس فرنسيس رقد بلرمينوس بالرب وذلك في

١٧ ايلول سنة ١٦٢١ بعد ان ضمّ الى صدره مرّة اخيرة صليب رهبانيّته ولفظ باسم يسوع المبارك

وقد جرى بشفاعة بلرمينوس بعد وفاته معجزات جديدة اثبتت قداسته منها زجاجة من دمه الذي لم يزل سيّالاً حتّى يومنا هذا في مدينة سلمنكا في اسبانية وغير ذلك ممّا يبعث الرجاء أننا سنراه في العاجل القريب محكّماً على هياكلنا بصفة طوباوي

وقد خلّف بلرمينوس للكنيسة مكتبةً واسعة من تآليفه التي تنيف على الخمسين عدًا. نذكر هنا بعضها ما عدا مجادلاته السابق ذكرها فمنها ألّفه كتاب شرح المزامير وكتاب تراجم الكتبة الكنائيسيين. وله غراماطيق اللغة العبرانية وكتاب صعود العقل الى الله من اجلّ الكتب الفلسفيّة وكتابان في واجبات الاساقفة وفي واجبات الامراء المسيحيين وكتاب في سلطة الحبر الاعظم الزمنيّة. وله في الادبيّات كتاب سجع الحمامة في شوق النفس الى دار البقاء وكتاب الاستعداد للميتة الصالحة وكتاب في سعادة القديسين في السماء مع مجموع واسع من المواعظ والخطب وتراجم بعض القديسين منها ترجمة القديسة مريم المجدليّة. ومن تآليفه التي نُقلت الى لغتنا العربيّة كتابهُ تفسير التعليم المسيحي المستفيض الشهرة عرّبهُ الخوري يوحنّا الحصروني من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية سنة ١٦٢٧ وطبعهُ هناك ثمّ تكرّر طبعهُ في مطبعتنا من تعريب الاب بطرس فرومج وقد نُقل الى لغات عديدة. وكذلك شرح المزامير الذي عرّبهُ الاب ارتودي اليسوعيّ بمساعدة الشمّاس عبدالله زاخر وطُبع في المطبعة المخلّصيّة في بيروت بثلثة اجزاء قد استمدّهُ خصوصاً من شرح بلرمينوس وكتابهُ في سبعة اقوال المسيح على الصليب عرّبهُ المثلّث الرحمات السيّد غريغوريوس حجّار رئيس اساقفة صور وصيدا، وطبعهُ في بيروت سنة ١٩١١ وهو ايضاً الذي عرّب لهُ كتابهُ سُلّم السعادتين وطبعهُ سنة ١٩١٠. فهذه الآثار كلّها تنعش روح الايمان وتحيي شواعر التقى الى يومنا هذا في نفوس المسيحيين وتخلّد ذكر ذلك الرجل العظيم الذي لا يزال اسمهُ مباركاً في كنيسة الله. ولا عجب اذ شاء مواطنوهُ في ايطالية ان يحتفلوا هذه السنة بتذكار المئة الثالثة لوفاته متّعنا الله بشفاعته امين (١

١) قد مرّ لنا في تسطير هذه الترجمة على سيرة المكرّم الكردينال بلرمينوس التي كتبها في مجلّدين الاب كودر اليسوعي سنة ١٨٩٣
P. Coudere S. J: Le Vénérable Cardinal Bellarmin. 2 *vols in-4, Paris*, 1895.

# اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب

نشرهُ حضرة المنوري لاونديوس كلزي رئيس دير الشير

## المقدمة

بينما كنتُ اسرّح الطَّرْف في سجلّ مكتبة دير الشير وقع نظري على كتيّب مخطوط خطًّا قديمًا ومرسوم بالمدد ٥١ يبلغ طولهُ ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ س ينطوي على ٧٠ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطرًا . وفي الكتاب رسالتان . الثانية للشمّاس عبدالله الراخر الحالبيّ وجّهها الى البطريرك اثناسيوس دبّاس سنة ١٧٢٦ يثبت فيها انه يجوز للمسيحي العلماني ان يدافع عن قضايا الايمان . وهي رسالة شهيرة . امّا الرسالة الاولى وهي التي نحنُنا حاضرًا فائمًا لذلك الملفان العظيم شرف الكنيسة عمومًا والشرق خصوصًا القديس يوحنّا فم الذهب وجّهها الى المدعو ثاودورس الذي كان ترك الرهبانيّة وعزم على الزواج

وللقديس يوحنّا فم الذهب في مجموعة اعمالهِ في مين (Migne PP. GG, XLVII, 277-319) رسالتان الى ثاودورس المذكور الواحدة معزّلة والاخرى اقصر طولًا وهذه الاخيرة هي التي وجدناها في مخطوط دير الشير وتبلغ منهُ ٣٩ صفحة صغيرة . والحقّ يقال انّها اهلٌ بذلك المعلّم العظيم اذ اودعها كلّ الادلّة التي من شأنها ان تبيّن للراهب الساقط الجاحد لدعوتهِ سوء فعلهِ بخروجهِ من الرهبنة بعد ان انضوى اليها وتورد لهُ كلّ الاسباب المقنعة التي تحدوهُ الى الرجوع الى دعوتهِ بالتوبة الصادقة

امّا ثاودورس المذكور هنا فهو ثاودورس الذي اشتهر بعد ذلك بكتاباتهِ وتآليفهِ المختلفة لاسيما بشرح الكتب المقدّسة وجنح فيها الى بعض آراء النسطوريّة . كان مولدهُ سنة ٣٥٠ وتوفي سنة ٤٢٨ بعد أن نُصب اسقفًا على مدينة المصّيصة . وكان في شبيبتهِ تزهّد مع القديس يوحنّا فم الذهب في دير كرتيريوس وديودوروس . ثمّ سئم الحياة النسكيّة وكاد ينخدع بأباطيل العالم لولم يردّهُ الى دعوته القديس يوحنّا صديقهُ بالرسالتين اللتين اشرنا اليهما والتي نورد هنا احداهما

ولم يُذكر في مخطوطنا اسم كاتب المقالة ولا وقت كتابتها ولعلّ معرّبها من اللغة اليونانيّة هو عبدالله بن الفضل الانطاكي في اواسط القرن الحادي عشر للمسيح وقد يُنّت جملةً المشرق انّهُ قد نقل الى العربيّة كثيرًا من اعمال القديس يوحنّا فم الذهب . وقد اردتُ نشر هذه الرسالة الذهبيّة ليقف عليها محبُّو الآثار الدينيّة القديمة معًا في نصوصها من بعض الركاكة طمعًا بالفوائد الجمّة المتضمّنة فيها ولأنّ من شأنها ان تشجع المطأة وتدفعهم الرجوع الى الله ثمّ رغبةً في إخراج هذه الجوهرة الثمينة من مدفنها في بطون المكاتب

# رسالة لأبينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب

ارسلها الى ثاودورس الراهب الشاب الذي سقط وترك الرهبانية وقصد الزيجة والدخول في العالم . فكتب له القديس هذه الرسالة لينشطه الى الرجوع والتوبة مذكرًا لهُ بالدينونة والحساب امامَ منبر الديان المرهوب

. . .

انه لو كان ممكن ان تُحمَل الدموع والتنهُّد بالكُتُب لكنتُ املأُ بهما لك كتابي هذا وأرسلهُ اليك . اذ قد بلغني عنك انَّك أفرزتَ نفسك من مصافّ الاخوة وتركتَ العهود التي عاهدتَ الله بها . ولهذا أفزع واجزع واخاف وأرعب لأن الذي ينتظم مع الفرسان من غير عهد ولا اكتتاب لا يُلام اذا ما ترك الفروسية ورجع الى الوراء . وأمَّا الذي اكتتب مع الفرسان وانتظم في مصافّهم فاذا ما تركَ الفروسيَّة فان بهذا الفعل يوجب على ذاته العقوبة الجزيلة

فاعلم ليها الحبيب ثاودورس ليس هو امرٌ صعب اذا ما وقع المُصارع بل ان الصعوبة اذا ما ثبت في سقطته . ولا هو حزنٌ اذا ما انجرح المقاتل بل الحزن هو اذا ما قطع رجاءهُ ولم يُعانِ العلاج للجرح وأيس من ذاته . أما ترى التجار الذين يسافرون في الابحار فانهم وان أُصيبوا في البحر وضاعت اموالهم فلا يمتنعون من ركوب البحر لكنهم بعد ذلك يرجعون ويركبون البحر ايضاً ويصبرون على تلاطُم الامواج واهوال اللُّجج ويقصدون الاماكن البعيدة مجتهدين بكل حرص ليردُّوا اليهم غناهم . وكثيرون من المجاهدين قد رأيناهم بعد وقعات كثيرة نهضوا وحظُوا باكلَّة الغلبة . وآخرون كثيرون من الفرسان حينما كانوا يصافُّون الاعداء انقلبوا منهم وفرُّوا هاربين ثمَّ بعد ذلك تشجَّعوا ورجعوا وقاوموا بجلادة وشهامة فقووا عليهم وغلبوهم وظهروا ابطالًا في الحرب . وغيرهم كثيرون ايضاً من المؤمنين بالمسيح من شدة العذابات الصعبة المراس ارتخت عزائمهم وعزموا ان يطيعوا ( المضطهدين ) بل البعض منهم اطاعوهم وسقطوا في العبادة الباطلة . ثمَّ بعد ذلك رجعوا وجاهدوا فنجحوا وليسوا اكلَّة الظفر مع الشهداء الغالبين . فلو انَّ كلَّ واحد من المذكورين كان قطع رجاءهُ من اول مرَّة لما كان يحصل على الخير الذي حصل عليه فيما بعد . هكذا انت يا حبيبي وان كان العدو قد زعزعك من مقامك قليلًا فلا تغشل خائفاً

وتطرح ذاتك وترج بنفسك في الهوتة المهلكة مؤيساً بل قف بجلادة وارجع سريعاً من حيث خرجت ولا تظن ان هذه الضربة لك عارٌ فهل يعيّر احدٌ بعض الفرسان اذا ما نظره راجعاً من القتال جريحاً . بل ان الفارس الذي يطرح السلاح ويمكّن الاعداء من نفسه فهذا الذي يُعيَّر ويُهزأ به . ولكن اذا ما هو وقف متجلداً في القتال فانهُ وان جُرح وتأخر قليلاً فالذين لهم معرفة بالحروب لا يلومونهُ اصلاً

ان الذين لا يعاينون الحروب . اولئك لا ينجرحون اما الذين يحاربون الاعداء بجلادة ويصادفونهم بسلاحهم فعلى الغالب ينجرحون ويصابون كما أُصبتَ انت . لانك اذ اردتَ ان تقتل الحية بجرأة فلسعتك فلا تيأس ايها الحبيب بل ثِقْ واطمئن يا اخي لانك لا تحتاج الّا الى علاج قليل وانتباه وشجاعة فلا يبقى فيك اثر الجراح والضرب . بل انك ترضّ رأس العدو بنعمة المسيح . ولا تحزن لانك جُرحت في ابتداء جهادك بل اعلم ان العدو الغاشّ حينما ابصر بمكره فضائل نفسك وانك مجاهد بطل حيث انك ابتدأتَ بقتاله بحرص وجلادة فخاف منك جداً وافتكر في انك ان بقيتَ على هذا الحال تغلبه وتقهره فحرص واجتهد بل أفرغ جهدهُ وقاومك بكافّة حيله . فحينئذٍ توانيتَ انت ايضاً متراخياً لانه لولا توانيك لما قدر العدو ان يجرحك . ولو قصدت أنت ان تقف مقابله بجلادة لما امكنه ان يصرعك ويسقطك بل كان شرّه يرجع على هامته

لأنَّ مَن ذا الذي لا يتعجب بل كان سُرَّ من انقلابك الاول السريع الحار . ومن لا ينذهل من انتقالك من اشراك العالم وفخاخه الى اقتناء الفضائل والصلاح اذ انك رفضت نعيم الاطعمة اللذيذة كلها وطرحت الملابس الثمينة وتوطّأتَ الكرامات والعظمة المرغوبة من الكثيرين . وحرصك ورغبتك اللتان كانتا لك في الحكمة البرّانية رددتهما بسرعة الى كتب الله بهذا المقدار حتى انك كنت تصرف النهار كله في مطالعة الصحف المفيدة وتجيز الليل كله في الصلوات والتضرّعات ولم تذكر شرف جنسك وعزّ آبائك بل كنت تفضّل السجود لأقدام الاخوة على كل شرف . فاذ شاهد منك العدو هذه المناقب حزن جداً واستيقظ وابتدأ باجتهاد ان يقاتلك قتالاً شديداً . غير انهُ يا اخي لم يجرحك جرحاً ليس له شفاء . ولو انه تركك الى زمان طويل الى ان تقتني كل نوع من انواع الفضائل والصلاح بعد ان تتعب تعباً زائداً

شديداً ثم ابتدأ في قتالك وغلبك فقد كان يقال انك خسرتَ خسارة جزيلة . حتى وان كان ذلك كذلك فلا ينبغي ان تيأس وتقطع رجاءك . بل جرحه اياك في ابتداء مصادمتك له خيرٌ لك كي تزداد تحفظاً وحذاقة في قتاله فلا يعود قادراً على ان يظفر بك . ولأن هذا اللص الخبيث لم يخرج لمقاومتك حين رجوعك من سفرك وتجارتك وجزيل ربحك بل انه نهض عليك في ابتداء تزولك في البحر قبل ان تعاني جزيل اضطرابه وكثرة اخطاره وجرى امره معك كمثل مَن يريد ان يقتل وحشاً كاسراً فاذا ما هو خدش خدشاً يسيراً لم يضرُّهُ ذلك . وانما يصير هذا سبباً لاحتفاظه منه وحرصه كي لا يسلم ذاته في يده دفعةً اخرى . هكذا فعل عدو جنس البشر اذ انه قصد ان يضربك ضربة صعبة بالغة فاخطأ الغرض لانهُ صيَّرك ان تنتبه وتسهر بحرص مترقباً وروده ايضاً

واعلم ايها الاخ ان طبيعة الانسان سريعة الزلق والانتقال من حال الى حال الا انها كما تسقط سريعاً كذلك تنهض ايضاً سريعاً . انظر ما اصاب النبي والملك داود الذي بعد ان اقتنى فضائل كثيرة وكان مختاراً من الله سقط بخطيئة العشق لتلك المرأة الغريبة وتمَّ العمل بالفسق . ولم يقف في هذه الحدود بعد هذا الجرح العظيم بل زاد على ذلك جرحاً آخر اذ مزج الزنا بالقتل ومع ذلك لم ييأس لكنَّهُ حالما نبَّههُ الطبيب انتبه ونهض سريعاً ووضع على جراحه مراهم واستعمل ادويةً متقنة وهي الصوم والنوح والبكاء والصلاة الدائمة والاقرار بالخطيئة والندامة عليها وبهذا اجتذب الله الى الرحمة اليه والرجوع الى رتبته الاولى بعد تلك السقطة المريعة واستحقّ بافعاله هذه ان يستر خطأ ابنه سليمان حينما سقط بعبادة الاوثان لكي يرضي نساءهُ وابتعد من اله آبائه اذ وقع في الفخّ الذي وقع فيه ابوه

فانظر يا اخي كم شرٍّ يعمل من لا يضبط شهوتهُ وكيف تنقلب فيه الرئاسة الطبيعية التي خُلق فيها ويصير عبداً واسيراً للشهوة والسلطة . وحقاً ان سليمان قد كان استحق ان يُقرع من الملك والسلطنة لاجل افعاله هذه ولكن لاجل صلاح والده داود تركهُ الله في كرسي الملك والسياسة العظيمة . وانت ايها الحبيب لو كنت حرصت في الامور العالية والاشياء البرَّانية ثم تأهلتَ وكسلتَ فاني كنت اذكرك باماكن القضاة وبافذين يكلَّلون هناك ويحصلون على الكرامات . وكنت أطلب

منك ان ترجع الى ذاك الحرص لتحظى بهذه المذكورات . واما نحن اذ قد صار حرصنا كله في الامور السماوية وليس لنا هوى في شيء من الامور الدنيوية فانا نذكرك في يوم الدينونة الرهيب وكيف اننا كلنا عتيدون ان نقف امام عرش المسيح لنعطي جواباً عن كل ما فعلناهُ وافتكرنا به وقلناه . فحينئذٍ يكون الديّان جالساً يستفحص كل شيءٍ ذاك الذي خالفتَ مواعيدهُ باذا تعتذر لديهِ وماذا تجاوبه ان انت ثبتَّ على مخالفتك العهود التي عاهدته بها ؟

قُلْ لي هل تحتجّ بامور العالم ؟ والحال انه قد سبق سيدنا يسوع المسيح وقال لنا : «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » . وان انت احتججتَ بانك قد خُدعتَ فلا يبرّرك هذا الاحتجاج كما انهُ لم يبرّر آدم عندما احتجّ بالمرأة اذ قال : « ان المرأة هي التي غرّتني حتى صنعتُ ما صنعت » . ولم تتبرّر المرأة ايضاً باحتجاجها بالحيّة

يا حبيبنا تاودورس مخيفٌ هو ذلك الموقف الرهيب وتلك الدينونة لانه لا يُحتاج هناك الى اناس يفحصون ويوبّخون ولا الى شهود يشهدون بل الاشياء كلها ظاهرة بين يدي الديّان . ولا يديننا على الاعمال فقط بل على الاقوال والافكار بما انه فاحص القلوب وعالم الخفيّات حتى وحركات قلوبنا الصائرة بالليل والنهار

وعساك تتعلّل بضعف الطبيعة وانك لم تقوَ على حمل نير المسيح الطيب وحملهِ الخفيف فاعلم ان النياح من التعب ليس هو جيداً لان سيدنا يسوع المسيح يدعونا الى هذه الاتعاب ويعدنا بواسطتها الراحة اذ يقول : « تعالوا اليَّ ايها المتعبون والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم ان نيري طيب وحملي خفيف »

اخبرني يا اخي ايُّ شيءٍ اخفّ من هذا وهو ان يستريح الانسان من الهموم والامور الدنيويّة ومن الخوف والتعب والنَّصَب ويكون خارجاً عن اضطراب العالم ومواجه ويصير الى ميناء هادئ . انا اسألك ايها الحبيب ايُّ شيءٍ في امور الدنيا احبُّ الى الناس وافضل عندهم ؟ فلستُ اشكّ انك تقول لي انها الرئاسة والغنى والكرامات . وماذا يكون اشقى اذا ما انقلبت . حيث ان الرئيس يخاف ان تقوم عليه الجماعة وتشغب . ويخاف ايضاً من الرؤساء الذين فوقه . ويلتزم بالاهتمام بالذين هم دونهُ . والذي كان بالامس رئيساً في الغد يصير مرؤوساً . لان امور هذه الدنيا

تشبه الذين يلعبون في الملعب . وكما ان اوليك في ملاعيبهم يصيرون الواحد ملكاً والآخر قائداً وغيره فارساً الى ان ينتهوا ما ابتدأوا به وفي حال انصرافهم من هناك لا يبقى الملك ملكاً ولا القائد قائداً ولا الفارس فارساً

هكذا في ذلك اليوم الرهيب لا يُكافأ الانسان لاجل اسمه ووظيفته بل لاجل تصرُّفه وافعاله . انَّ الكرامات والشرف العالمي يُرى عندنا لذيذاً وحلواً الَّا انه يذهب عنَّا الى غيرنا وشيكاً . والكتاب يقول : « الويل للذين يفتخرون بقوتهم والذين يفتخرون بكثرة اموالهم وغناهم » . غير ان الحرية المسيحية ليست هكذا إذ انَّ المسيحي الحقيقي لا ينتقل من الرئاسة الى الرعاعة . ولا من الغنى الى المسكنة ولا من المجد الى الهوان بل انه يمكث غنياً اذا ما هو تمسكن ويرتفع اذا ما هو اتضع ولا يقدر احد ان ينزعه من الرئاسة التي يرأسها . لانه لا يرأس على النـاس بل على أراكنة وسلاطين ضابطي ظلمة هذا العالم كما قال الرسول

ثمَّ تقول ان الزواج مكرَّم ومضجعهُ نقيّ والله يدين الفسقة والزناة . نعم حقٌّ ما تقوله وهذه آية رسوليَّة . فاما انت فلا يمكنك منذ الآن ان تحفظ ناموس الزيجة . لان الذي قد عاهد الختن السماوي ان يقيم لله نفسهُ ذبيحةً طاهرة اذا ما هو حنث بوعده واتخذ لهُ امرأةً فقد فسق وان سئيتَ لي ذلك عشرة آلاف مرَّةً بقولك ان هذا زواج فاجاوبك قائلًا : لابل انه فِسق . واقول ايضاً انه شرٌّ من الفسق . واعلم انَّ الله افضلُ من البشر بما لا يقدَّر والكتاب المقدس قد روى قولهُ : « اوفوا للرب نذوركم » فلا يغرَّنك احد بقوله لك ان الله لم يمنع عن التزوُّج . وانا ايضاً اعلم ان الله لم يمنع من التزوُّج لكنه تعالى قد منع عن الفسق الذي تريد ان تفعلهُ باقترانك مع امرأة غير اني ارجو ان ذلك لا يكون اصلًا . ولا تعجب من قولي عن التزوُّج انه فسق حقّ لاجل انَّهُ يتم بمخالفة الله

فربَّما رأينا قتلًا صيَّر فاعلهُ باراً لانه تمَّ بطاعة الله وقد رأينا ايضاً فعلَ رحمة عوقب فاعلهُ لاجلهِ اكثر من القتل لانهُ صنعهُ بخلاف ما اوصاه الله . فينحاس الكاهن لمَّا طعن الزاني مع الزانية وصنع القتل حُسب له ذلك براً وصدوقيَّةً لانه كان قتلٌ برضى الله . لمَّا شاول الملك لانهُ لم يقتل ملك العمالقة كما امرهُ الله مع ان فعلهُ هذا فعلُ رحمة عاقبهُ الله لاجلهِ عقوبةً صعبة بهذا المقدار حتى ان صموئيل النبي طلب

الى الله من اجله كثيراً ولم يقدر ان يخلصهُ مما قضى الله عليهِ بهِ . وسهر هذا النبي ليالي كثيرة بالتضرُّع والبكاء الى الله لاجلهِ ولم يترك الله له هذه المخالفة التي صنعها ضدّ ما اوصاهُ الله ونزع منه الملك واعطاه لداود

فاذاً لا تعجب من قولي ان الانسان يُدان عن التزويج اكثر من الفسق اذا كان ذلك مخالفاً للعهود مع المسيح . وكما قلتُ لك اولاً انك لو كنت من رعاع الناس لما كان احد يلومك على تركك الفروسية والتجنُّد للمسيح اما الذي هو نظيرك فهذا عارٌ عليه . اذ لم يبقَ لك الآن سلطان على نفسك لانك تجنَّدت وتعيَّنت فارساً للملك السماوي . لانه كما انَّ المرأة اذا ما اقترنت برجل لن يبقى لها سلطان على جسدها بل لرجلها السلطان عليه . فكم بالحري اكثر من هذا بأضعاف الذين تعاهدوا مع المسيح فانهم لا يعود لهم سلطان على اجسادهم

اعلم ان الذي تركتهُ الآن انت هو الدنيا للجميع في ذلك اليوم الاخير . افتكر في كلامي هذا وتأملهُ في كل وقت . واعلم ايضاً ان في ذلك اليوم الرهيب سيجري نهرٌ من نار امامه وعذابات ليس لها احصاء توجد هناك والذين يسلَّمون الى تلك العذابات لايبقى لهم رجاء خلاص منها . اما شهوات العالم فهي كالظلّ والمنام وأضغاث أحلام لأنهُ قبل ان تتمّ الخطيئة تنطفئ اللذَّة اما العقوبة عنها فليس لها انقضاء . اللذة هي زمن يسير واما الاحزان فمؤبَّدة . العالم لا يوجد فيه شيء ثابت وقد قال بعض القديسين انَّ حياتنا هي اسرع من الماء الذي يجري . والنفس المجاهدة لايوجد شيء اكرم منها . وهذا لا يخفى عمَّن وصلوا الى اقصى الجهاد

وانا اعلم ايها الحبيب انك لم تسترخِ كثيراً بازاء قتال العدو . بل انك واقفٌ في وسط لهيب نار الفخ . فاذا ما صرختَ نحو العدو قائلاً : انني للذَّاتك النجسة لا أعبد ولأصل شرورك ومكايدك لا اسجد . ثم اذا رفعت عينيك الى ساكن السماء فحالاً يطفئ عنك وهج اللهيب ويحرق الذين طرحوك في هذا الاتون الناري ويرسل لك في وسط الاتون سحابةً ندًى وريحاً لطيفاً هادئاً حتى لا تدنو النار منك ولا الى حواسك وافكارك بشرط ان لا تحرق انت نفسك . لأن المدن الحصينة لا تسلَّم للاعداء غالباً من قتال الذين هم خارجاً ولا تُهدَم من خيانهم الّا اذا نافق واحد او اثنان من داخل فيسلمونها بخيانةٍ منهم الى الاعداء بغير عناء

وكذلك انت ايها الاخ ان لم تتنازل مع العدو بما تُهجس لك به الافكار من داخل فلا يقدر عليك احد من خارج ولو احتال عليك بحيل شتى لانَّ لك بنعمة الله معاضدين كثيرين اقوياء يتولُّونك جيدًا ويعينونك باجتهاد . ويتحنَّنون على نفسك وهم رفاقك واخوتك الروحيُّون الذين منهم فيلاريوس قديس الله واخوه فلورنطس الفاضل . والمتسهِّر بحكمة المسيح برفيريوس . واخرون كثيرون الذين لا يزالون ينوحون في كل يوم ولم يكفُّوا في كل يوم من الطلبة والدعاء لاجلك . واني لا اشكُّ في انهم كانوا ينالون ما يسألونهُ لو انك ايضاً تريد وذلك اذا اجتهدتَ بحرص ان تخلِّص نفسك ولا تميل مع العدو بقبول ما يقدِّمه لك بل قاومتهُ بضد ذلك . وكيف لايكون هذا عارًا ايها الاخ وهو ان آخرين لم ييأسوا بعد من سلامتك بل انهم في كل وقت يقدمون لله صلوات وتضرعات طالبين منه تعالى ان يردَّ اليهم عضوهم . وانت لا تريد تنهض من سقطتك بل تمكث فيها كمن ليس له رجاء . ألعلَّ الذي يقع لا يقوم ؟ فانت تريد ان تضادَّ الكتاب المقدَّس بقطع رجائك عند سقطتك وكأنك تقول بافعالك التي هي لسان حالك : ان الذي يقع لا يقوم

فانا اطلب منك يا حبيب ان لا تظلم نفسك هذا الظلم كلهُ . وارجوك ألَّا تُحزن انفسنا بهذا الحزن العظيم وليس اني اقول لك هذا بما انك لم تبلغ بعد عشرين سنة من العمر بل لقلتهُ لو كنت عشت سنين كثيرة وكلها أجزتها في رضا المسيح . ولو كنتَ عند الكبر والشيب سقطت بمثل هذه السقطة فما كان ينبغي لك حينئذٍ ان تقطع رجاءك . افطن وافتكر باللص الذي آمن على الصليب . أخطِر ببالك اولئك الذين عملوا في الساعة الحادية عشر واخذوا الاجرة كاولئك الذين عملوا النهار كلهُ . وكما انهُ لا ينبغي للذين يكونون سقطوا في آخر كبرهم ان يقطعوا الرجاء كذلك لا ينبغي للذين يكونون في عنفوان صباهم اذا هم زلقوا ان يمكثوا في حالتهم تلك ويعدوا انفسهم بهذا الرجاء قائلين : نحن نشبع اولًا من لذات هذا العالم وبعد ذلك نتعب قليلًا ونأخذ الاجرة وافرةً

انني يخطر ببالي حينما كنت احذرك وانت راغب مجتهد فكنتَ تقول لي : كيف اصنع لاني اخاف ان يكون خروجي من الدنيا بعد زمن يسير فماذا اعتذر امام الذي قال : لا تُبطئ في رجوعك الى الرب ولا تؤخره من يوم الى يوم . ردِّد في نفسك هذه

الافكار واجتهد في ان تربط السارق . لان سيدنا يسوع المسيح هكذا سمّى يوم خروجنا من العالم كسارق يأتينا في يوم لا نعلمه . تأمل بهموم الدنيا للجميع الخاصّ منهم والعامّ . تأمّل بمخافة الأراكنة . بجسد اهل المدن الذي ربما بلغ الى اقصى غاية من البلايا . بالاتعاب وبالمشقات التي لا تعداد لها المحيطة بالبشر من كل جهة وناحية . وانظار هذا التعب والعناء كلّه يجوز وينقضي في هذا العالم . فاي شيء يكون اكثر حزناً من هذه المذكورات ؟ ما اكثر الذين تعبوا في امور الدنيا لكي يلتذّوا ويجدوا لهم راحةً ما يعتاضون بها عن تلك فلم يحصلوا على ذلك غير انهم اجازوا حياتهم بالاتعاب والهموم والبلايا . وحيث ظنّوا انهم يعتاضون عن ذلك هاهنا فاختطفهم الموت وذهبوا من غير ان يستريحوا قليلاً . وكذلك ايضاً ما اكثر الجنود العاليين الذين كابدوا اتعاباً كثيرة وخاطروا بذواتهم مراراً وانتصروا في الحروب لكي يكون لهم دالّة عند الملك الارضيّ . وقد حدث لهم كثيراً انهم لم يبصروا وجهه وايادية بل خاب املهم . فكيف يؤمّل الانسان الذي في حياته لم يجاهد الّا مع العالم والجسد ان سيبصر وجه الملك السماوي

ولو اخذتُ اذكر لك جزءاً من الهموم التي تحلّ في المنازل من اجل المرأة والبنين لرأيت ما اكثرها . لانهم ان لم يولد لهم ولد يحزنون حزناً عظيماً . حيث ان الذين هم هكذا يرون انهم باطلاً اقترنوا بسنّة الزواج . والذين يلدون اولاداً يصيرون كانهم في العبودية . لانّهُ ان مرض احدهم تنغّص عيشهم لاجله . وان مات تصير المصيبة اعظم وينوحون عليه نوحاً لا عزاء له . وفي كل زمان حياتهم تتجدد لهم هموم مختلفة . والذي يتخذ له امرأة فقيرة له حزن خصوصيّ . والذي يأخذ واحدة غنيّة له حزن آخر لان الذي يتخذ المسكينة فقد اضرّ بماله . والذي اتخذ الغنية فقد صيّر عليه رقيباً ومعلماً واهان حرّيته

وماذا اقول ايضاً فيما يكابدهُ الاكابر والاغنياء تارة من كثرة النفقات والمصاريف متى يلتزمون بها ولا تتيسّر لهم بل احياناً كثيرة تتعذّر عليهم المكاسب والارباح . وماذا اقول ايضاً عما يتكبدونهُ احياناً من هموم العبيد والإماء . وامور كثيرة غير هذه . فتلك هي حياة اهل العالم المملوّة من المشقات والاتعاب ايها الحبيب . وهي ان يزجّ الانسان نفسهُ في هذه المذكورات جميعها بل وفي بلايا اكثر منها

وبالنتيجة تصير حياته لغيره لا لنفسه

فاننا نحن نشكر الله لاننا ليس عندنا شيء من هذا وانت نفسك ايها الاخ ثاودورس تشهد بهذا كله . لانك تعلم بكم فرح وسرور تمتعت بذلك الزمان الذي فيه افرزتَ نفسك لله وانفصلت من اضطرابات العالم ومن بحر امواجه وملكت الحرية التي لا يملكها الاَّ الذين ابتعدوا من التزويج واختاروا المسيح اولئك يسعدون بل ينتصرون على هذه البلايا كلها . لأنَّ الانسان اذا ما قصد ان لا يضرّ بنفسه فلا يقدر احد ان يضره اصلاً . ان هو خسر مالاً فلا يحزن لانه قد عرف اننا لم ندخل الى الدنيا بشيء وكذلك لا نخرج منها بشيء . ولا يدخل في قلبه حبُّ المجد الباطل ولا رغبة الكرامات لانه قد علم ان تدبيرنا هو سماوي . وان قرَّنه انسان لا يحزن واذا ضربه لا يغضب . وهلم جرًّا

وانما مصيبة المسيحيين هي واحدة فقط ان يخالف الانسان خالقه . اما بقية الاشياء كخسارة الاموال ليست هي شيئاً عند من حسُنت عبادته كما تقدَّمنا فقلنا . وكذلك الخروج من الوطن وبقية الاحزان الفادحة فلا نرى انها شيء . لاسيما اولئك الذين تركوا العالم والتصقوا بالمسيح كما سبق القول . فالامر الذي كل الناس يخافونه ويرهبونه اكثر من الجميع وهو الخروج من الدنيا هو عندهم احلى من الحياة ولذيذ بهذا المقدار حتى انهم يحتسبون ذواتهم نظير انسان صعد الى جبل عالٍ وهو ينظر الى البحر متأملاً الى الذين يسيرون فيه كيف ان البعض قد غرقتهم الامواج والآخرين قد صادمتهم الصخور وتكسَّرت مراكبهم . ويجتهد غيرهم ان يمضوا الى مدينة مقصودة منهم فيأخذهم الريح الى غيرها . والبعض قد غرقوا واخرين قد فارقوا الدنيا وهم طافون على الماء . ومصائب كثيرة غير هذه

اما الذين خصصوا نفوسهم وتجنَّدوا للسيد المسيح فانهم يرون ذواتهم انهم قد نجوا من هذه المخاطر وخلَّصوا انفسهم من بحر هذا العالم وامواجه . وخصلوا في ميناء هادئ . فايشيء يكون اصلح واسهل من ان لا يكون للانسان سوى همّ واحد وهو كيف يُرضي الله كما ينطق بذلك إمامُنا ذاك الرسول المفضل بولس الطوباني بقوله : «ان المتزوج يهتمّ كيف يرضي امرأته . والغير المتزوّج يهتمّ كيف يرضي الله»

ارايت يا حبيبي مصايب الذين يسيرون في بحر هذا العالم والمخاطر الحاصلين بها

فانا ارجوك ان تهرب من هـذه اللجج والامواج الخطرة وتستكين في السكينة والهدو حيث لا خوف عليك . ومن المعلوم ايها الاخ ان القيامة والدينونة حقّ وبعد خروجنا من هذه الدنيا لا بدَّ لنا ان نقتصب امـام عرش المسيح لنأخذ جزاء افعالنا ثواباً ام عقاباً لانه لم تَعُدْ جهنم عبثاً ولاتهيَّأت الخيرات باطلاً . وهذه الاشياء ابدية ليس لها انقضاء . اما العالم فهو لسرع زوالاً من الظلّ فلا تخسر تلك لاجل هذه مع انـك تقدر ان تربح الامرين كليهما . ان اردت وقصدت ذلك باجتهاد لأنّ الرسول الالهي بولس المعظم يثبت ذلك للذين يعيشون بالمسيح من غير زواج بقوله : «اني ارقُّ لكم واشير عليكم بهذا لمنفعة انفسكم »

وحقاً ان الذين يهتمّون بامور الرب وحدهُ هم افضل من المتزوجين وبعد مضينا الى العالم الآتي لا يمكننا ان نتوب لان هاهنا ميدان الجهاد فهل رأيت احداً الفرسان المجاهدين بعد ان يجوز موسم الحرب ويمضي الناس من موضع الجهاد . متفرقين يفتكر في ان يجاهد ؟ فافتكر متأملاً في هذه كلها واكسر سيف العدو المرهف البتّار الذي به يقتل كثيرين اعني به قطع الرجاء الذي بواسطته يصير الذين يسقطون ييأسون من التوبة . وهذا هو سلاح العدو والذي به يقوى على الذين سقطوا . ولكن اذا مـا اردنا فنحن نقدر بنعمة المسيح ان نكسر هذا السلاح ونطفئ هذا السهام المحمى ونرضي ربنا والاهنا يسوع المسيح

انا اعلم يا اخي اني قد تعدّيت حدَّ الرسالة فاغفر لي . لانني لم افعل هذا كرهـاً بل انني كُلِّفتُ من الحب والحزن اللذين اضطرّاني في ان اكتب اليك هذه الرسالة مع كثيرين كانوا يمنعوني عن ذلك بقولهم لي : كفَّ عن تعب لا يجدى نفعاً ولاتزرع على الصخرة . فلم اقبل ذلك من احدٍ منهم بل اتي اجبتهم قائلاً : انَّ لي رجاء ثابتاً ان كلام الكتب لا شك ينفع وانا ايضـاً اصلّي واطلب اننا نحن نربح . ولكن لا نُلام ايضاً ولو لم نربح ونكون شرّاً من الذين يركبون السفن في البحار لان اولئك اذا هم رأوا بعض ركّاب البحر قد أُصيبوا وانكسر مركبهم . يرخون القلاع ويمدون مراسيهم ويركبون حالاً القارب ويذهبون ليغيثوا الذين قد اصيبوا وصاروا في خطر الغرق حتى وان كانوا اناساً لا يعرفونهم . فـاذا اولئك لم يريدوا ولا يحبون ان يخلصوا فليس احد يلوم الذين اغاثوهم وقت هلاكهم

فنحن قد فعلنا ما يجب علينا . وارجو بنعمة المسيح انك انت ايضاً تعمل ما يجب عليك . واننا سنبصرك ايضاً في قطيع غنم المسيح على ما يجب وان يقبلك وانت معافىً صحيحاً بالصحة الحقيقية المرضية له بصلوات جميع القديسين . يا حبيبنا ان كنت ترانا في شيء . وتحفظ مودتنا بعد ولم تمكن طرحتنا بالكلية من فكرك اقرأ رسالتنا هذه وتأملها جيداً واكتب لنا جوابها فانك اذا فعلت ذلك ستسرنا جداً ونفرح جميعنا امام منبر المسيح وتؤهلني انا الحقير ان اقول بدالة : هاءنذا والبنين الذين اعطانيهم الله . وايضاً : ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد . جعلنا الله مستحقين ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للطبيعة البشرية التي فداها بدمه الكريم الذي له المجد والعزة والاكرام والسجود الان وداغاً والى ابد الدهور كلها امين

# لغزان في المرّيخ

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لا نعلم من السيارات الثاني الدائرة حول الشمس واحدةً استفزّت رغبة الفلكيين في الاطلاع على غامض احاجيها بقدر المرّيخ . فلا الزُهرة التي تبدو في شكل ماسة كبيرة زهراء مرصّعة — والزُهرة اسطع من كل النجوم — ولا زُحل الذي ادهش الاقدمين والمتأخرين بحلقاته اللامعة الغريبة . ولا نبتون الذي اعلن الفلكي الفرنساوي الشهير لڤريه (Le Verrier) بمجرّد حساباته العميقة موقعهُ الخفيّ في اقاصي النظام الشمسي على بعد اربعة مليارات و ٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس . وبالاجمال لا نعلم سيّارة حيّرت عقول العلماء بقدر المرّيخ ولاسيّما منذ نحو خمسين سنة ، وقد زاد القيل والقال وتضاربت الآراء كل التضارب في هذا الكوكب العجيب اثناء العام الماضي حيث دنا في دورتهِ حول الشمس الى اقرب مسافة من الارض . فلاح اوانئذٍ لرهط من قليلي التبصُّر المستندين الى ادلّة واهية ان نبأً لاسلكيًّا ورد الينا من اهل المرّيخ . وكان كثيرٌ منهم قبل ذلك باعوام ارتأوا بوجود أناس مثلنا على سطح هذه السيارة وانّها مخطّطة بأقنية مستقيمة عديدة لا يمكن تعليلها بسوى عقل منشئيها .

فنحن قد فعلنا ما يجب علينا . وارجو بنعمة المسيح انك انت ايضاً تعمل ما يجب عليك . واننا سنبصرك ايضاً في قطيع غنم المسيح على ما يجب وان يقبلك وانت معافىً صحيحاً بالصحة الحقيقية المرضية له بصلوات جميع القديسين . يا حبيبنا ان كنت ترانا في شيء . وتحفظ مودتنا بعد ولم تمكن طرحتنا بالكلية من فكرك اقرأ رسالتنا هذه وتأملها جيداً واكتب لنا جوابها فانك اذا فعلت ذلك ستسرنا جداً ونفرح جميعنا امام منبر المسيح وتؤهلني انا الحقير ان اقول بدالة : هاءنذا والبنين الذين اعطانيهم الله . وايضاً : ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد . جعلنا الله مستحقين ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للطبيعة البشرية التي فداها بدمه الكريم الذي له المجد والعزة والاكرام والسجود الان وداغاً والى ابد الدهور كلها امين

# لغزان في المرّيخ

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لا نعلم من السيارات الثاني الدائرة حول الشمس واحدةً استفزّت رغبة الفلكيين في الاطلاع على غامض احاجيها بقدر المرّيخ . فلا الزُهرة التي تبدو في شكل ماسة كبيرة زهراء مرصّعة — والزُهرة اسطع من كل النجوم — ولا زُحل الذي ادهش الاقدمين والمتأخرين بحلقاته اللامعة الغريبة . ولا نبتون الذي اعلن الفلكي الفرنساوي الشهير لڤريه (Le Verrier) بمجرّد حساباته العميقة موقعهُ الخفيّ في اقاصي النظام الشمسي على بعد اربعة مليارات و ٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس . وبالاجمال لا نعلم سيّارة حيّرت عقول العلماء بقدر المرّيخ ولاسيّما منذ نحو خمسين سنة ، وقد زاد القيل والقال وتضاربت الآراء كل التضارب في هذا الكوكب العجيب اثناء العام الماضي حيث دنا في دورتهِ حول الشمس الى اقرب مسافة من الارض . فلاح اوانئذٍ لرهط من قليلي التبصُّر المستندين الى ادلّة واهية ان نبأً لاسلكيًّا ورد الينا من اهل المرّيخ . وكان كثيرٌ منهم قبل ذلك باعوام ارتأوا بوجود أناس مثلنا على سطح هذه السيارة وانّها مخطّطة بأقنية مستقيمة عديدة لا يمكن تعليلها بسوى عقل منشئيها .

فقصدُنا من هذه المقالة حلّ هذين اللغزين بناء على المبادئ العلمية الراهنة لنرى ما في الرأيين المذكورين من الصحّة

## ١ نبأ لاسلكي من اهل المريخ

لا يجهل قرّاء الشرق ان طائفة من العلماء ولاسيّما المتطرّفين رجّحوا بدرجات متفاوتة وجود بشر مثل بني آدم على ظهر سيّارة المريخ اللاحقة للارض في سلسلة السيّارات المكوّنة للنظام الشمسيّ . واولئك العلماء — وهم النزر القليل نسبةً الى غيرهم — يستندون نظريّتهم هذه الى الشبه الغريب بين سيّارتنا والمريخ من وجوه عديدة كالحجم وتوالي فصول العام الاربعة ودرجة الحرارة التي هي نصف درجة الحرارة الارضيّة المتوسّطة ووجود قارّات وبحار يحيط بها جوٌّ يحتوي على بخار الماء

ولا حاجة للتصريح بان اصحاب ذلك الحدس لم يأتوا ببرهان علمي واحد قاطع لا مردّ عليه لتأييد مدّعاهم مع كونهم افرغوا كنانة المجهود لبلوغ هذه الغاية . ومما روت الجرائد عن بعض الاميركيين في العام المنصرم اذ كانت الارض متوسّطة بين المريخ والشمس على خطّ مستقيم (١ انهُ بقي في ولاية ونكونسكة من الولايات المتحدة سبعة ايام متوالية وعلى اذنهِ قابلُ التلغراف اللاسلكي وهو موصولٌ بصارية تنتهي اليها اسلاكٌ طولها ٣٥ ميلًا ( والميل ١٫٦٠٩ امتار ) كان قد مدّها على مساحة ٢٥ ميلًا مربّعاً . وكان المقصود من كل هذا الاستعداد الغريب تمكين القابل من قبول النبأ اللاسلكي المرسل الى الارض من اهل المريخ اثناء مقابلتهم لدنيانا . أجل بقي هذا العالم سبعة ايام متواصلة والقابل على اذنه . لكن واأسفاه لم يأته رغمَ جلَدهِ العجيب واستعدادهِ الفنّيّ الاعجب منه ادنى برقيّة لاسلكيّة من المريخيين الموهومين . فيا لخشونة طباعهم وسوء آدابهم !

وضاق صدر عالم آخر اميركي ايضاً — وما اكثر الغرائب في اميركة بالاشياء والاشخاص ! — لطول انتظاره نبأ المريخ وهو على سطح الكرة الارضيّة فحدّثته نفسه بالصعود في منطاد الى علو ١٥ كيلومترًا زاعماً انه يسهل على البرقيّة اللاسلكية

---

١) في المقابلة يبعد المريخ عن الارض ٨٧,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر وهو بُعدٌ لا يُذكر في نظر الفلكيين !

المرّيخية الوصول اليه . فكادت روحه تبلغ التراقي وبعد ان قاسى الامرّين انحدر الى الحضيض مخفّي حنين

وفي نفس ذلك الوقت على وجه التقريب هـاجت الاذهان وماجت في مشارق الارض ومغاربها عند نشر الصحف للحادث الآتي الـذي لم يُعهد له نظير . وهو ان كثيراً من محطّات اللاسلكي المنتشرة في كل اقطار المعمور قبلت تموّجات كهربائية غير ارضيّة اي واردة من احد الاجرام السماوية . وقد اكّـدت الدوائر التلغرافية الشهيرة ان الايطالي مركوني مخترع اللاسلكي اعتقد بصحّة هذا الخبر .

وهاك بعض الحجج التي كان المتنورون يؤيدون بها مدّعى الجرائد : اولاً لا يوجد سوى محطّات قليلة قادرة على ايصال انبائها الى كل جهات العالم وهي ترسلها في اوقات معلومة غير الوقت الذي وردت فيه التموّجات العجيبة

ثانياً ان طول هذه (راجع الصفحة ٣٠٣ من المجلد السابع للشرق) يفوق طول التموّجات الصادرة من كل المحطات الكبرى فانّ طول التموجات الصادرة يومياً من برج ايفل في باريس للدلالة على الوقت يبلغ ٢،٥٠٠ متر . اما التي تبثها محطة دونا (Dona) بجوار ليون لنفس هـذه الغاية فطولها نحو ١٥،٠٠٠ متر فهي نحو ثلاثين مليـار مرّة اطول من التموجات النورانية البـالغ طولها نحو جزء من خمسين مليوناً من السنتيمتر !

وعلى وجه الاطلاق ان طول التموجات الكهربائية يتراوح بين بضعة ميلمترات وملايين من الامتار

ثالثاً لا مستند للقول بانها آتية من الجو — ولا شك الان في امكان ذلك الامر بغضّ النظر عن الظروف الخصوصيّة — لان شدّتها تنقص حينئذٍ بنسبة عكس مربّع المسافة الفاصلة بين مصدرها ومنتهاهـا نعني المحطّة القابلة لها . والحال ان درجة شدة التموجات العجيبة كانت هي هي او كادت في محطات يبلغ البعد بين بعضها آلافاً من الكيلومترات . وعلى كل حال فمن المؤكّـد لدى الخبراء الاثبات ان التموّجـات الكهربائية الجويّة لا تنتشر الى مسافات بعيدة كالسابقة

فاستنتج مُوردو تلك البراهين الثلاثة ان مصدر التموّجات المبهمة السرّية شديد البعد عن الارض حيث لم تؤثر على درجة شدّتها مسافة آلاف كيلومترات على سطح

غبراء . ومن ثمَّ صرَّحوا وهم لا يخشون تكذيب مكذِّب ولا لومة لائم بان صدرها احد الاجرام السماوية . عندئذٍ رقصت احشاء القائلين بوجود أناس مثلنا ب المرّيخ ارتياحاً وتهلّلاً ثم طبّلوا وزمّروا على مرأى ومسمع من الملا بان اهل المريخ هم الباعثون لتلك التموجات الغريبة وذلك بقصد محادثة اخوتهم بني الغبراء تزلُّفاً ربهم !

هلمَّ بنا الآن يا رعاك الله لنرى بعين التروّي ما في هذا القول من الصحّة لئلا رمي الكلام على عواهنه . تعلم يا صاح ان التموّجات الكهربائية ناجمة عمّا سمّاه طبيعيون الشرارة المتذبذة ( étincelle oscillante ) حيث قد ثبت بالاختبار انها تصدر نارة من القطب الايجابي وطوراً من السلبي . والحال ان رهطاً من العلماء الثقات دّروا شرارات متذبذة منبثة من الجوّ اثناء العواصف ودوّنوها بآلات لا تختلف ن قابل اللاسلكي . فيتحتم علينا القول بان جهات الجو المضطربة التي هي منشأ لاطلاقات الكهربائية هي ايضاً منشأ تموّجات في غاية الشدة . وقد صُنعت على هذا بدأ آلاتٌ منبئة بدنوّ الزوابع يدقّ جرسها المنبِّه كل نحو عشر دقائق طالما الإعصار ى بعد نحو ٣٠٠ كيلو متر ثم تقصر الفترات وترنّ الدقّات كل دقيقة او كل ثلاثين ية اذا كانت العاصفة على وشك الوصول — فهذه الحوادث المقرّرة باختبار سنوات ديدة حدَت بالعالم الفلكي الفرنساوي نُزدمان الى القول بحضر من اعضاء اكاديمية ارم الباريسيَّة بان الشمس تُصدر تموّجات كهربائية مثلما لها إشعاع الحرارة والنور كان ذلك حول سنة ١٩٠١ . واليك بعض الادلّة التي استند اليها الاوذعي نزدمان اءهُ الجسورة في ذلك المعهد

اولًا ان من الامور الاكيدة علميًّا التي لا ينكرها مكابر ان لكل التموّجات راء كانت نوراً او حرارة او كهرباء نواميس مشتركة عامّة لا يحيد عنها ايُّ تموّج كان شعرة . ولو لم يقصر البارئ القوة الحائمة في شبكية عيننا على التموجات النورانية كنا نرى تموجات الحرارة والكهربائيَّة ايضاً ومن يستطيع ان يرجم مقدار الانقلاب تج عن ذلك في شعورنا بأعراض العالم الهيولي ! فحيث لا يوجد في نظر العلم صحيح العصري فرقٌ جوهري مطلق بين انواع التموّج الثلاثة فيرجّح على الاقل نها مجموعة في الشمس المحتوي إشعاعها على النور والحرارة

ولكن شتّان ما بين هذا الدليل الترجيحي واليقين الكامل ! فاليك ايها القارئ النطن دليلاً آخر يُرضيك اتمّ الرضى . لم يبرح من ذهنك ان جهات الجو المضطربة بالاعاصير هي مصدر تموجات كهربائية . والحال انّ صور الشمس الفوتغرافية تعلمنا ان سطح هذا الكوكب مكوّن من نحو سحائب نيّرة مشعّة تبلغ حرارتها زهاء ٦٠٠٠ درجة من المقياس المئوي ومساحة بعضها تفوق مساحة فرنسة (نحو ٥٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع) وهي متحركة بسرعة هائلة بحيث تختلف صورتها من دقيقة الى اخرى وتلك السرعة تفوق سرعة اشدّ الاعاصير بدون قياس مع ان هذه تبلغ احياناً ١٦٢ كيلو متراً في الساعة اي نحو ٤٥ متراً في الثانية

هذا ما نلاحظه في سطح الشمس امّا باطنها فقد أرتنا فيه النظّارة الطيفيّة انفجارات دائمة وبتنهي الشدة . فنستخلص من كل تلك الحركات الانقلابية المحيّرة بقوتها ودوامها ان الغازات المكوّنة للكوكب المنير هي كالجهات المضطربة من الجوّ الارضي اثناء العواصف مصدر اطلاقات كهربائية وبالتالي منشأ تموجات كهربائية ايضاً وان هذه وتلك تفوق ما نشاهده على الغبراء بنسبة تفوق شدّة الاعاصير الشمسية على عواصفنا

ويؤيد ذلك ما رصده العالم الفرنسوي ديلندر ( Deslandres ) اثناء كسوف كامل للشمس وهو ان الطرف الاسود من القمر محاطٌ بشبه هالة وردية اللون محزّزة الشكل أسفر تحليلها بالنظّارة الطيفيّة عن كون أنسنة الجو الشمسي الناجمة عن الانفجارات الباطنية منارةً بالكهربا . ومتولدةً من اطلاقات كهربائية مضارعة للتي نراها في اعاصيرنا

ومنذ نحو ١٧ سنة صرّح العالم الفلكي نُردمان بوجود تلك التموّجات الكهربائية الشمسية بناء على كل الادلّة السابقة التي ارشدته اليها قريحتهُ الوقّادة او أرصاد اخوانهِ ائمة علم الهيئة

فلعمري لو عرف كلّ ذلك المطبّلون والمزمرون في منتصف العام الماضي زاعمين انّ اهل المريخ توفقوا بفرط حذقهم الى ايصال برقيّة لاسلكية الى سكان الارض لما قالوا بتلك السفاسف ولا تعدّوا حدود الصواب اذ طلبوا تعليل امرٍ طبيعيّ من بُعدٍ قاصٍ وهو قريب المأخذ بل تحت يدهم . نعني ان الشمس مصدر التموّجات الغريبة

التي ادهشت الجمهور

ولو درى ذلك الفلكيان الاميركيان المذكوران في مستهل هذه العجالة لما أسرف الاول مؤونة علمه وتدبيره وصبره ليلصق اذنهُ مدة سبعة ايام متواصلة بقابل اللاسلكي — وما صعد الآخر بمنظاده الى علو ١٥ كيلومترًا حيث كاد يُصمّ صداه واوشكت روحه ان تقيض

وايم الحق يقال ان مثل ذلك الفضول والتشبث العنيد بآراء واهية خالية عن كل ارجحية علمية لمن المضحكات المبكيات. والاصوب في نظرنا ان يُضحك منها

ولكن ليت شعري ألا يستند قول العلماء القليلين القائلين بوجود أناس مثلنا في المريخ الّا على المشابهة بينه وبين الارض من جهة الحجم واربعة فصول السنة ودرجة الحرارة والقارات والبحار؟ لعمري كل هذه الادلة ضئيلة نسبةً الى النتيجة الخطيرة المستخلصة منها. ولو لم يكن هنا دليل آخر اقوى منها كثيرًا — مع انه باطل مثلها كما سترى — لمّا رأينا بعض الفلكيين يخبطون خبط عشواء في قبول نظريّة ينبذها اليوم نبذ النواة معظم ائمة علم الهيئة العالمين ببجدة الامر. والدليل المذكور كاذب مثل الاوّل وهو هو ما سناه الواهمون «أقنية المريخ» وقد افردنا الباب الثاني لايراد البراهين الدامغة على عدم وجود تلك الاقنية وهي الركن الاقوى لادعاء المدّعين يكون للمريخ سكّانًا

## ٢ اقنية المريخ الموهومة

نفتتح هذا الفصل ببعض المعلومات على جارنا المريخ الذي مدار كلامنا عليه وقد سبق لنا القول بانه يلي الارض مباشرةً في سلسلة السيارات بالانطلاق من الشمس واعتبارها كالطرف الاول للسلسلة. يدور المريخ حول قطبيه في ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة و ٢٧ ثانية من الوقت الشمسي المتوسط. ويدور حول الشمس بمدّة اقلّ يسيرًا من سنتين وهي بالضبط سنة و٣٢١ يومًا. وللمريخ قطرٌ يزيد قليلًا عن نصف قطر الارض البالغ نحو ١٢،٨٠٠ كيلومتر. وثقله يساوي نحو عُشر وزن كرتنا المقدّر بـ ٥،٥×١٠٢١ طنًا. وبعده المتوسط عن الشمس زها ٢٢٧ مليون كيلومتر (بُعد الارض ١٤٩ مليون ك) وله قمران لم يُكتشفا الّا سنة ١٨٧٧ لقرب صغرهما قطر الاول ١٢ كيلومتر وقطر

الآخر عشرة . واسمها فوبوس (Phobos) ودَيْمُس (Deimos)

والآن بعد تقديمنا المريخ للقرّاء هلمّ بنا لنمعن رائد النظر العلمي في أقنيته . اوّل من لحظها الفلكي الايطالي سكياپارلي (Schiaparelli) سنة ١٨٧٧ على سطح السيّارة ثم رصدها بعد ذلك رهطٌ من نوابغ الفلكيين في كل الامم الراقية . وهذه الاقنية ظهرت لهم بشكل شبكة من خطوط دهماء مستقيمة في الغالب وملتقية من مسافة الى مسافة بنحو شامات سوداء أُطلق عليها اسم بُحيرات لسبب واضح وهو ان الانسان يحفر في بعض الاحيان اقنية كثيرة متشعّبة من بحيرة واحدة لري الاراضي المحدقة بها . وقيسَ عرضُ اضيق الاقنية فوُجد مساوياً نحو ٢٠ كيلومترًا . ومن البديهي ان كل بحيرة اعرض من الاقنية الصادرة منها . امّا عدد الاقنية المرصودة فما زال يزداد بهمّة سكياپارلي وخلفهِ المبرّز الفلكي الاميركي لاوِل (Lowell) حتى بلغ اليوم عددها فوق اربع مائة ومن العجب العجاب ان المرقب يُري في بعض الاحيان الاقنية مثناةً فكل منها يتحوّل ساعتئذٍ الى خطين متوازيين متقاربين — ومن المميّزات الغريبة للمريخ التي لا مندوحة لنا عن ذكرها لاحكام ارتباط حلقات جدالنا الآتي على حقيقة الاقنية اي ما دعاه العلماء باسم فكيهِ الكُتلتين القطبيّتين اشارة الى هيئتهما المستديرة المنتظمة المغطية للقطبين وما جاورهما الى بعد ٣٥ درجة من كل قطب وهما ناصعتا البياض ويرجح تكوّنهما من الجليد او الثلج اثناء الشتاء المريخي بدليل كونهما تتناقصان في اوائل الصيف وتزولان بتاتاً في حمارّة القيظ . وقد زعم البعض انهما ناجمتان عن تخثّر الغاز الفحمي اي الحامض الكربونيك الغزير على قولهم في جوّ المريخ . ويمنعنا ضيق المقام عن الخوض في هذه النظرية

وما يزيد قيمة كل هذه الارصادات الشائقة العجيبة كون سطح المريخ غير محاط كالزُهرة والبرجيس (او المشتري) بسحائب كثيفة دائمة الحركة حائلة دون اتقان الرصد . ثم ان جوّ جارنا قليل الكثوفة نسبةً الى غيره وفي ذلك سهولة عظيمة لنا في ملاحظة كل تفاصيل السيّارة الكثيرة الاحاجي الغريبة الاشكال والتطوّرات

كلُّ ما سبق هو من قبيل المعلومات التمهيدية . فلنلج الآن الى كبد المشكل ومنطوقهُ على هذا النمط : ان كانت الاقنية حقيقية فهل يمكن تعليلها بغير عقل

سكّان المريخ ؟ وان كانت خيالًا كاذبًا مشبهًا للسراب الخادع او البرق الخلّب فما البرهان العلمي على ذلك ؟

اجاب بعض معاصري سكيابارلي مكتشف الاقنية ورهطٌ من خلفائه باستحالة نسبتها الى غير قريحة المريخيين. قال احد هؤلاء العلماء بيكرنج (Pickering) انها اراضي الزراعة المستطيلة الشكل الزائدة النضوع حين تسقيها المياه العرمرميّة الناتجة عن ذوبان جليد الكتلتين القطبيتين وثلجها مدّة فصل الربيع. ولا نكير ان اسطع ما تتراءى لنا في ذلك الفصل

امّا الاميركي لاوَل فانه ضرب على نغم بيكرنج بل فاقهُ بزعمهِ ان ازدهار حقول المريخ اثناء الربيع ناجم عن كونها مسقيّة باقنية اصطناعيّة تبرهن استقامتها الهندسيّة على شأو بعيد من التمدّن العقلي في سكّان السيّارة جارتنا . اما جهاتها التي لا تتناخم الاقنية فهي قاع صفصف لكونها محرومة من المياه الوافرة لمقاومة جفاف المناخ المفرط . ومن غريب هذيان الفلكي لاوَل انه ادّعى كونه حضر من وراء عدسيّة مرقبهِ افتتاح قناة جيّاريّة ذات سدود على المريخ !

فما قولنا عن الحجة السابقة على وجود سكّان مثلنا او على الاقل مزدانين بالعقل على سطح جارتنا أهي من الادلّة الساطعة التي تلقم مَن ينكرها الحجر ! كلّا ثم كلّا واليك شواهدنا

اوّلًا انه من المحقّق ان المريخ كثير الجبال والوديان والوهاد والهضاب وتؤيد ذلك الصبغات المختلفة في لونه باختلاف اصقاعهِ ثم عدم استدارة طرف الكتلتين القطبيتين على شكل هندسي كامل . فكيف والحالة هذه نرى دليلًا على عقل سام في حفر اقنية في غاية الاستقامة يبلغ طول بعضها آلافًا مؤلفة من الكيلومترات وهي متساوية العرض من اقصاها الى اقصاها ؟ اليس في هذه الاعمال الجيّارية عناء هائل ذاهبٌ ادراج الرياح ؟ ومن جهة اخرى اين سَنَة العقل في جَلب المياه من الكتلتين القطبيتين اي من بُعد يبلغ احيانًا خمسة آلاف كيلومتر وتَرك اراضي واسعة مترامية الاطراف بدون ريّ ولا زراعة مع انها متاخمة لها ؟ وايم الحق انه لرابع المستحيلات ان يزن المتبصر هذه الملحوظات بميزان الرشد بدون ان يعتريهُ على الاقلّ شك شديدٌ في وجود المريخيين العاقلين ايًّا كان شكل اجسامهم

على اننا لا نقف في تفنيد هذا المذهب الواهي الاساس عند هذا الحد بل نسير الى الامام ونورد اقوى البراهين على فساده الكلي . اولًا يقرّ الذائدون عن حياضه ان كل الراصدين للاقنية رصدوها بنظّارات ضعيفة وعلى الاكثر متوسطة القوة فنظارة مكتشفها سكياپارلي لم يزد قطر عدستها الخارجية (objectif) على نحو ٢٥ سنتيمترًا . والحال انه لا يبقى للاقنية من اثر في العزر البسير من أقدر المراقب الاوربية والاميركية كمرقب مرصد ليك في كاليفورنية البالغ قطرُ نظارته ٩١ سنتيمترًا . والدليل الساطع على غريب قدرته ان الفلكي بَرنَرد اكتشف بواسطته القمر الخامس للمشتري مع ان قطره لا يبلغ ٥٠ كيلومترًا وان تلك السيارة تبعد عن الارض نحو ٦٢٥ مليون كيلومتر نعني فوق اربعة اضعاف بُعد الشمس عنّا . فبهذه النظارة الجبارية تتلاشى الاقنية الموهومة كاضغاث احلام ولا يبقى على سطح المريخ سوى شامات كالحة منشورة بدون هندام في كل جهاته وسيتضح لك عن قريب انها هي ما سمّاه القائلون بحقيقة الاقنية «بحيرات المريخ»

وان لم تكتفك ايها القارئ القطن شهادة مرقب ليك السابقة على عدم وجود الاقنية فأصغِ الى شهادة أخرى صادرة من نظّارة مرصد يركس (Yerkes) بجوار شيكاغو وكان لها في منتصف العام المنصرم المقام الاول بين كل نظّارات المعمور اذ قد بلغ قطر عدستها الخارجية ١٠٠ سنتيمترات أعني بزيادة ١٤ سنتيمترًا على عدسيّة مرقب ليك . فلمّا استفتى احدُ الباحثين مديرَ مرصد يركس بخصوص أرصاد لاوَل التي هاجت لها اميركة وماجت من فرط الإعجاب وردت اليه من ذلك العلّامة البرقية الآتية وهي من الغرابة بمكان بالنسبة الى شدة ايجازها وفكاهتها : « مرقب يركس أقدرُ من ان يرى الاقنية » !

ويؤيد الشهادتين الآنفتين — ان كان ثَمّ حاجةٌ الى التأييد — كون اقوى مرقب فرنساوي وهو مرصد مودون (Meudon) الشهير الواقع في ضواحي باريس لم يرَ في المريخ شيئًا يشبه الاقنية عن كَثَب او عن بُعد .

وفي وسعنا ايراد ادلّة اخرى كثيرة من هذا القبيل ولكن ما لنا فيها حاجة بعد الحجج السابقة . على اننا لا نجتزئ بذلك لردّ قول القائلين بحقيقة الاقنية بل نتطرق الى تعليل ظهورها الجلي في النظّارات الضعيفة والمتوسطة . الامر الذي حاد بكثير

من الراصدين عن جادّة الصواب. فاذا فسّرنا تلك الظواهر الكاذبة الخادعة تفسيراً علمياً مقبولاً فكون اجبنا جواباً شافياً على كل اعتراضات ومُماحكات المدّعين ما لا وجود له الّا في مخيّلاتهم وعدسيّات مراقبهم القصيرة البصر

يُطلَق لسم القوّة الفاصلة في النظارات على طاقتها لتمييز دقائق الاجرام السماوية. والاختبار مع الحساب لسانٌ واحد في التصريح بان تلك القوة تنقص او تزيد بنسبة قصر او طول قطر العدسية الخارجيّة. واليك مثالاً يعينك على ادراك ذلك. ارسم يا رعاك الله على ورقة خطّين متوازيين دقيقين وابتعد عنهما تدريجاً. ألا يأتي وقت يخيّل فيه لك انهما يمتزجان متوحّدان؟ وما داعي ذلك سوى ان ابتعادك يضاهي في تأثيره تضايق قطر العدسية الخارجية من مقلتك. بعكس ما لو تدانيت الى الورقة فانك على هذه الحال تميّز فيها ادقّ التفاصيل دون اقلّ عناء. وعلى هذا النسق ذاته ان الشامات الكالحة التي تظهر منشورة في كل جهات سطح المريخ لمن يرصدها بمرقب قوي تتراءى في غيره متكتلة وموصولة بخطوط مستقيمة توهم بوجود اقنية هناك

وسائل يسألنا معترضاً: ولماذا نرى تلك الخطوط الوهمية سوية بغير التواء؟ ؟ نجيب ان الفسيولوجيين لم يتوفقوا حتى الآن الى تعليل ذلك الشعور المخالف للحقيقة ولكن الاختبار يشهد على حدوثه كلما اجتمعت الظروف السابقة. فدونك مثلاً وصف التجربة التي اجراها الفلكي الاميركي الشهير نيوكب (Newcomb). انه رسم على إطار ابيض جملة شامات دكناء منفصلة الواحدة عن الأخرى ومتشققة شذر مذر في كل اوب من الإطار بحيث تجانس في عين مشاهدها عن كثب صورة سطح المريخ المنجلية في اقدر المراقب. ثم جعل رهطاً من الفلكيين المعدودين على مسافة معلومة من ذلك الرسم حيث تضعف كثيراً قوة البصر الفاصلة. فتوسل الى كل منهم ان يرسم الشكل الماثل امام ناظريه كما يراه. فرسم الجميع الشامات الدهماء موصولة بخطوط مستقيمة!

ثم انّ الفلكي الايطالي تشيرُلي (Cerulli) برهن باختباره على امكان رصد مثل اقنية المريخ على سطح القمر نفسه الذي لم تُرَ فيه ابداً وذلك بمجرّد استخدام نظّارة ضعيفة للغاية — واخيراً ان المستر هِل (Hale) صوّر المريخ تصويراً شمسياً بواسطة مرقبه ذي المرآة البالغ قطرها ١٫٥٢ متراً وكان من مدّة قريبة نسيج وحده

في المعمور ويُرجَّح انه لا يزال حائزاً على المقام الاول بين رصفائه (١ . فالقوة الفاصلة فيه يُقضى منها العجب ومع ذلك لم يظهر على الصور ادنى اثر للاقنية الموهومة ولو ان كثيراً من التفاصيل الدقيقة المجهولة في سطح القمر ظهرت عليها مرّةً اولى — أفلا يسوغ لنا بعد كل تلك الشواهد الآخذ بعضها برقاب بعض ان نختم تحقيقنا بفتوى نيوكمب الطائر الصيت : « ان كل النظريات العديدة التي لخاض فيها نمط من الفلكيين بخصوص قابلية المريخ للسكنى هي ضرب من الخيالات العارية عن كل سند من الارصاد الاكيدة »

وقد ضرب على مثل هذا الوتر بل زاده رنّةً العالم الفرنساوي نُزْدَمن حيث قاه بما حرفه : « ان اقنية المريخ الشهيرة لا وجود لها قائمها محض ظواهر ناتجة عن نقائص النظّارات الضعيفة وعدم كفاية قوتها الفاصلة » ويُردف قائلاً : « كان البعض يرتاحون الى وضع اقنية الري المريخية — وهي عمل تمدّن راقٍ غير ارضي — في موضع الاشياء الثابت وجودها بقوة البراهين — فوا اسفاه لا مناص لنا في انتظار ادلّة جديدة من الاستمرار على القول باننا لم نشاهد حتى الآن بحسالي حياة عاقلة منتظمة في سيّارة غير ارضنا هذه . ولا نعني بذلك عدم وجود تلك الحياة في السيارات الأُخر مع اننا مايلون الى الايقان بوجودها فيها . انما نعني ان هذا الامر يوجه حقيقته ندَّ الى يومنا هذا عن غِلَظ وسائطنا الرصدية وبعبارة اخرى انه من بنات المخيّلة ليس من نتائج العلم »

---

# محاورة سريانية بين الخاطئة والشيطان

نقلها الى العربية حضرة الشمس مبارك مزرعة النهر اللبناني عن بعض ميامر مار افرام بتصرّف ونظمها بمناسبة عيد القديسة مريم المجدلية الواقع في ٢٢ تموز

لك المجدُ يا من في مجيئك كفّتِ عُصاةُ البرايا عن ركوبِ الخطيئةِ

---

(١ هذا المرقب ذو مرآة هو المدعو تيليسكوبياً عند الافرنج — اما المراقب الاخرى السابقة الذكر فهي محض نظّارات ذوات عدسيات معروفة بالفرنساوية باسم lunette astronomique . وقد اطلقنا على النوعين لفظة « مرقب » تجرياً على الاصطلاح الغربي

في المعمور ويُرجَّح انه لا يزال حائزاً على المقام الاول بين رصفائه (١ . فالقوة الفاصلة فيه يُقضى منها العجب ومع ذلك لم يظهر على الصور ادنى اثر للاقنية الموهومة ولو ان كثيراً من التفاصيل الدقيقة المجهولة في سطح القمر ظهرت عليها مرّةً اولى — أفلا يسوغ لنا بعد كل تلك الشواهد الآخذ بعضها برقاب بعض ان نختم تحقيقنا بفتوى نيوكمب الطائر الصيت : « ان كل النظريات العديدة التي لخاض فيها نمط من الفلكيين بخصوص قابلية المريخ للسكنى هي ضرب من الخيالات العارية عن كل سند من الارصاد الاكيدة »

وقد ضرب على مثل هذا الوتر بل زاده رنّةً العالم الفرنساوي نُزْدَمن حيث قاه بما حرفه : « ان اقنية المريخ الشهيرة لا وجود لها قائمها محض ظواهر ناتجة عن نقائص النظّارات الضعيفة وعدم كفاية قوتها الفاصلة » ويُردف قائلاً : « كان البعض يرتاحون الى وضع اقنية الري المريخية — وهي عمل تمدّن راقٍ غير ارضي — في موضع الاشياء الثابت وجودها بقوة البراهين — فوا اسفاه لا مناص لنا في انتظار ادلّة جديدة من الاستمرار على القول باننا لم نشاهد حتى الآن بحسالي حياة عاقلة منتظمة في سيّارة غير ارضنا هذه . ولا نعني بذلك عدم وجود تلك الحياة في السيارات الأُخر مع اننا مايلون الى الايقان بوجودها فيها . انما نعني ان هذا الامر يوجه حقيقته ندَّ الى يومنا هذا عن غِلَظ وسائطنا الرصدية وبعبارة اخرى انه من بنات المخيّلة ليس من نتائج العلم »

---

# محاورة سريانية بين الخاطئة والشيطان

نقلها الى العربية حضرة الشمس مبارك مزرعة النهر اللبناني عن بعض ميامر مار افرام بتصرّف ونظمها بمناسبة عيد القديسة مريم المجدلية الواقع في ٢٢ تموز

لك المجدُ يا من في مجيئك كفّتِ عُصاةُ البرايا عن ركوبِ الخطيئةِ

---

(١ هذا المرقب ذو مرآة هو المدعو تيليسكوبياً عند الافرنج — اما المراقب الاخرى السابقة الذكر فهي محض نظّارات ذوات عدسيات معروفة بالفرنساوية باسم lunette astronomique . وقد اطلقنا على النوعين لفظة « مرقب » تجرياً على الاصطلاح الغربي

وحلّت بجنّات القداسة والتُّقى فأحبّ بروض القدس روضَ المرّةِ
الى الارض قد وافى الالهُ بحبّهِ وحلّ حثيثاً في فناء البتولةِ
وابدى لأتباع الخطايا وداعةً ليدنوا اليهِ دون خوفٍ ورهبةِ
وامراض اجساد الانام برحمةٍ شفاها وابرا النفسَ من كلّ علّةِ
وقد زار مَن هم في الحياةِ ومَن قضوا تبارك ربٌّ يمتني بالخليقةِ
ومرّت بهِ العميانُ يوماً فابصرتْ وباتت تسير المُقعَدون بسرعةِ
وصارت جميع الزُّمْرِ تقفزُ بهجةً وحلّوا جميعاً معبدًا بالسويّةِ
وقد صاد زكّى الباغي من تحت تينةٍ كذا ولديّ زبدى دعا من سفينةِ
ومن فوق بئرٍ قد دعا سامريّةً وخاطئةً في بيت أبرصَ حلّتِ
ولما درت تلك الاثيمة أنهُ نزيلٌ مضافٌ عند سمعانَ سُرّتِ
وقالت اذا ما شُبّتُ بارقَ وجههِ بحبٍّ وايمانٍ يرقُّ لذلّتي
تتوق الى رؤياه نفسي ولم تزل تحنّ اليهِ كلّ يوم بلذّةِ
فلا بدّ ان يمحو ذنوبيَ مثلما محا سيّئات البرّ زكّى بنعمةِ

الشيطان

رآها عدوُّ الخير تبغي ندامةً فشقّ عليه الامر كلّ المشقّةِ
وقال لها : يا وَيْبةَ الحسن والبها لماذا اراكِ في اكتئابٍ وحسرةِ ؟
لماذا تسحُّ العينُ دمعاً وعَندماً فهل قد شعرتْ من حبيبٍ بجفوةِ
فلا تجزعي اني اسير اليهم وألقي بقلب الكلّ بزر المحبّةِ

الخاطئة

فقالت لهُ حُبّي المسيحُ لانهُ يحبُّ جميع التائبين بوفرةِ
وعنكم تميل اليوم نفسي فحبُّكم كذوبٌ يسوق المرء نحو الرذيلةِ

الشيطان

محضتُ لكِ نصحاً بحبٍ وانني وَدُودٌ فهل لا تعلمين مودّتي
وبعدَ الكرامات التي قد عملتُها تُهينين نحوي دون اهل البسيطةِ

الخاطئة

كفرتُ بكَ الكفر الشديد وانني أقيم على كفري بعزم وقوّةِ

فسعداً لمن تقبلوهُ حقاً فانهُ يصير حبيباً لابن تلك البتولةِ

الشيطان

فلا تذهبي نحو المسيح الذي افتدى جميع البرايا ان قبلتِ نصيحتي
لديهِ تلاميذٌ تسامى عفافهم فلا بدَّ من ان يطردوكِ بنفرةِ

الخاطئة

يَدَ الدهر لا أُصغي اليكِ ولا ولا... لانكَ ترمي التائبين ببغضةِ
خدمتُ لك طول الحياة فقد كفى لاني أُريد اليوم إبطالَ خدمتي

الشيطان

لكِ الويل ان رمتِ المسيرَ لبابهِ فانك تلقينَ العذاب بشدةِ
لديهِ تلاميذ قساةٌ وكلُّهم يهتمون في ان يبعدوكِ خلياتي

الخاطئة

لك الويل والتويع من كل ناطقٍ لانك تقبلو اللاذين بتوبةِ
فانَّ التلاميذ الذين ذكرتهم بحبرٍ عظيم يشفعون بذلتي

الشيطان

ألا تعلمين اليوم انكِ في الخنا ملطَّخةٌ والفحشُ أقبح خلةِ
فكيف تودّين الذهاب الى الذي يسامره أولو النقاءِ والفضيلة

الخاطئة

أجلْ ان آثامي تعاظم حدُّها وطارت باقطار البسيطة شهرتي
ولكنني ارجو السماح كما رجت سماحَ الخنا راحابُ يوماً فعُزّتِ

الشيطان

اراكِ واني حائرٌ متعجبٌ ولا علمَ لي من اين جئتِ بفطنةِ
خُلقتِ وكان الجهلُ فوقك ضارباً قباباً فكيف الان جئتِ بحكمةِ

الخاطئة

اراكَ خجولاً مبهوتاً ومُبلَّلا لانَّ الهي قد رماك ببلعةِ
وصرتَ كما الصيَّادُ أفلت صيدُهُ فعضَّ اليد اليمنى وناح بحرقةِ

الشيطان

فسعديكِ يا ذات البهـا ان أطعتني واحجمتِ عن تكريم ابن البتولة
اخاف اذا مـا شام وجهـكِ مرةً تـذوقين منـه اليومَ شرَّ بليـة

الخاطئة

فـطوبايَ في ذا اليوم حقًّا لانني تركتـكَ واستأثرت بابن البتولة
يُبَرِّكـثيرًا لي ويرثي لحـالتي وإنْ هو الّا مقرمٌ بـالاحبـة

الشيطان

فمن ذا الـذي قد بتُّ فيك وساوباً ومن قـد اتاكِ اليوم في شرّ جرأةِ
صرفتِ أوْيقـات الهنـاء بخـدمتي فـاذا دهاكِ اليوم ايتهـا التي . .

الخاطئة

انا يـا عـدوَّ الخيرِ أبهى حمـامةً نجت من مخالب الشقـاء بنعمـة
وطرتُ سريعـاً نحو ربّي وخالقي واتـفتُ في اغصـان اجمـل جنَّـة

الشيطان

على مَ غـطتِ اليوم فضلي ونعمتي ألستُ بمـولاك وانتِ رفيقـتي
وهل ذقتِ غير الحب من سائر الورى غـداة خدمتِ عظمتي حَسْب نيَّتي

الخاطئة

لقد كنتَ ربي واستهنتُك كالعـدى أمـا المرءُ في ودادٍ وبغضـة
واخضعتُ عنقي تحت نـير مخلصي وفي نـيره لـلناس اطيبُ لـذَّة

الشيطان

مُـلِئَ اقطـارُ العوالم سمعةً وتُعجَبُ منكِ اليـوم كلُّ البريَّة
بـأن الزواني المومسات تجـاسرت وحلَّت بقربي منه من دون خشية

الخاطئة

ستعلم كل الارض شرقـاً ومغربـاً بـأن المسيح الرب يغـفر ذلّـتي
فيلقى جميعُ الكائنين شجـاعـةً ويـدنون منه دون خوف ورهبـة

الشيطان

وشَعْرُكِ ذاتُ الحسن كان معطَّرًا فأضحى زريًّا مُهمَلًا واحبيبتي
يشقُّ عليَّ ان اراه بحالةٍ تصبُّ لها العينُ الدموعَ بكثرةٍ

الخاطئة

فشعري الذي بالمسك كان معطَّرًا وصاد الورى للنار من دون شفقةٍ
اذرّي عليه اليوم من عَفَر الثرى واصطاد نفسي للمسيح بتوبتي

الشيطان

وعينُك بالتكحيل زاد بهاؤها فجرّت لاهل الحب شرَّ مصيبةٍ
اراها تسحُّ اليوم صَيِّب ادمعٍ بدون انقطاع يا لها من بليّةٍ

الخاطئة

على الاعين النُّجْل التي بجمالها نفوسَ الورى جرّتْ لاعمق هوّةٍ
بان تسكب الدمع الهتون لاجل ان تقدّمها لله أنفسَ تحفةٍ

الشيطان

وفوكِ الذي اذ كان يشدو مغنّيًا فيجلب للمشتاق اكبر دهشةٍ
يرتّل آيَ المجد والسبح دائمًا ويبدي نواح الورق في غصن أيكةٍ

الخاطئة

فمي ذا الذي كان الثناء غرامَهُ خليقٌ بان يُبكى عليه بلهفةٍ
ويشكر للرب الذي عمَّ نعمَهُ ويُبدي له مدحًا باطيب نغمةٍ

الشيطان

تعالَيْ اليَّ يا فتاةُ تنعّمي بكثرتي ومالي وارتعي وسط جنّتي
ولا تذهبي نحو المسيح فانهُ غضوبٌ والّا ترجعين بخيبةٍ

الخاطئة

مدى الدهر لا آتي اليك وانني اعدّ كنوز المال احقر قيمةٍ
واذهب نحو الرب إيسوعَ مَن به سروري حبوري وارتياجي ولذّتي

الشيطان

ألا تعلمين انّ ابن مريم طاهرٌ فلا يستجيب الدهرَ آلَ الخطيئةِ
فحيدي اذًا عمّا عزمتِ فربما اذا ما رآكِ يتهرك بنفرةِ

الخاطئة

لأعلم حقًّا انه اطهرُ الورى به ابتدًا رفقٌ بأهل الرذيلةِ
فها انني ادنو اليهِ ولا مرا ينيلُني من غفران ذنبيَ مُنيتي

*

فقامت اذًا والطيبُ معها · وأقبلت تسير سريعًا نحو ربّ الخليقةِ
وقد قرعت باب الرجا بأمانةٍ وحبٍّ فنالت منه اسعد حظوةِ
وخرّت على اقدامهِ غسلتهما بطيب ثمين ثمّ عادت ببهجةِ
فيا أيها المولى الذي بجنوةٍ محا كلّ ذنب من ذنوب الاثيمةِ
تلطّفْ بنا واغسل جميع ذنوبنا وامطر علينا سُحب حِلم ورأفةِ
فنهدي لك التسبيح ما ذرّ شارقٌ وما غرّدت في الأيك طيرٌ وغنّتِ

---

# المذهب الدرويّ واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

## حقيقة هذا البحث وتعريفه

كان لمذهب الماديّين في القسم الثامن من القرن التاسع عشر نهضةٌ سيّئة اثّرت في العقول وقد كان ظهورهُ في اثر مذهب الاباحيين او العقليّين الذين جاهروا بسيادة العقل وسلطتهِ العليا . وكلا المذهبين يتّفق في إنكار الوحي ونفوذ ما يعلو فوق الطبيعة بامور البشر واحوال الكون

الشيطان

ألا تعلمين انّ ابن مريم طاهرٌ فلا يستجيب الدهرَ آلَ الخطيئةِ
فحيدي اذًا عمّا عزمتِ فربما اذا ما رآكِ يتهرك بنفرةِ

الخاطئة

لأعلم حقًّا انه اطهرُ الورى به ابتدًا رفقٌ بأهل الرذيلةِ
فها انني ادنو اليهِ ولا مرا ينيلُني من غفران ذنبيَ مُنيتي

*

فقامت اذًا والطيبُ معها · وأقبلت تسير سريعًا نحو ربّ الخليقةِ
وقد قرعت باب الرجا بأمانةٍ وحبٍّ فنالت منه اسعد حظوةِ
وخرّت على اقدامهِ غسلتهما بطيب ثمين ثمّ عادت ببهجةِ
فيا أيها المولى الذي بجنوةٍ محا كلّ ذنب من ذنوب الاثيمةِ
تلطّفْ بنا واغسل جميع ذنوبنا وامطر علينا سُحب حِلم ورأفةِ
فنهدي لك التسبيح ما ذرّ شارقٌ وما غرّدت في الأيك طيرٌ وغنّتِ

---

# المذهب الدرويّ واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

## حقيقة هذا البحث وتعريفه

كان لمذهب الماديّين في القسم الثامن من القرن التاسع عشر نهضةٌ سيّئة اثّرت في العقول وقد كان ظهورهُ في اثر مذهب الاباحيين او العقليّين الذين جاهروا بسيادة العقل وسلطتهِ العليا . وكلا المذهبين يتّفق في إنكار الوحي ونفوذ ما يعلو فوق الطبيعة بامور البشر واحوال الكون

امّا الفرق بينهما فكون الاباحيين لا ينكرون وجود الله كالماديين ولكنّهم لا يكترثون لوجوده ولا يرون حاجةً لعنايته في تدبير العالم ويزعمون انّ الانسان كما العالم في غنًى عنهُ تعالى اسمهُ وتبارك . امّا الماديّون فلا يكتفون بنكران العجائب والوحي وكلّ امور العالم العلوي وحقوق الله على البشر وعنايته في سياسة الخلائق بل يجحدون اللاهوت وكلّ ما يفوق الطبيعة المادّيّة . ويدّعي ذوو المذهب المادّي انّ اصل الانسان والحيوان يمكن اثباتهُ دون الله وانّ المادّة الهيولّية ابدئيّة منها تكوّنت كلّ المخلوقات ومواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان دون استثناء الانسان وذلك بموجب سنّة ترقّي المادّة : فالحياة على قولهم دخلت توًّا الى العالم بقوّتها . وكذلك النفس البشريّة انّما هي مجموع قوى الطبيعة الهيولّية التي تطوّرت اطوارًا شتّى فصارت اوّلًا نباتًا ثم حيوانًا حتّى بلغت طور الحيوان الناطق اعني الانسان الفهيم المدرك

فما الانسان الّا نتيجة هذا الترقّي الذي سيزيد رقيًّا في مستقبل الزمان . وامّا اجدادهُ فبعض الحيوانات العديدة الاجناس من ذوات الفقرات التي أنسلتهُ كما أنسلتْ القرودَ اخوتهُ . واذا تحقّق انّ الانسان سليل البهيمة وانّ اصل البهيمة من الجماد لا بُدَّ من القول انّ ذلك المركّب ينحلّ في الموت ولا يبقى اثر من كيانهِ فلا ثواب ولا عقاب . ومن ثمّ ليس وجود للشريعة الادبيّة في هذه الحياة وما لبني البشر الّا ان يرشفوا في هذا العالم كأس اللذّات ويتمتّعوا بمعظم الشهوات . هذه خلاصة مذهب الماديّين

وقد استند الماديّون في تأييد رأيهم عن جحود الاله والعالم الآخر الى مزاعم الذاهبين الى النشوء وارتقاء الكائنات بتطوّر احوالها وذلك مذهب الملحد لامرك (Lamarck) في القرن الثامن عشر فأشاعهُ دروين وعمّمهُ في النصف الثاني من القرن السابق وقد بلّغهُ هِكل (Hæckel) الالماني الى اقصى حدودهِ الهيولّية . وربّما دُعي مذهبُ النشوء بالمذهب الدروينيّ وان كان دروين ليس هو مبتدعهُ كما انهُ لم يستنتج منهُ نتيجة الكفران بالخالق كما سترى وانّما الحصّة التي تعود الى دروين وَضْعهُ للعوامل او الاركان التي على ظنّهِ تثبت مذهب الترقّي اعني الانتخاب الطبيعي والمجاراة الحيويّة وغير ذلك ممّا سيأتي نقدهُ

*

ولو شئتَ تمهيداً لما يدّعيه الماديون والدرويئيون فادخل الى متحف من متاحف التاريخ الطبيعي حيث جُمعت امثلة او مساطر من كلّ اجناس الحيوان والحشرات المعروفة في العالم سواء كانت في الارض ام في الهواء او الانهار او المستنقعات حتى اعماق البحار مباشرةً باصغر الهوامّ وادنى الديدان والحيوانات النباتيّة البحريّة ثم الاسماك والطيور والزحافات الى اعظم الحيوانات ذوات الاربع البرّيّة واكبر حيتان البحر

وهذه المجاميع المختلفة قد نُظمت وقُسمت تقسيماً لطيفاً على موجب ما بين الاجناس والانواع من التشابه فترى ذوات الاثدي وحدها والطيور وحدها وكذلك الزحافات وهلمّ جرًّا . فهناك الرُّتب العليا ثمّ الاجناس ثمّ الانواع يمثلها احد الافراد الدالّ على خواصها العموميّة ثمّ مميّزاتها العائليّة والجنسيّة . وكلّ ذلك على مقتضى التقاسيم التي اصطلح عليها العلماء بعد الفحص المدقّق

وفي المتاحف التي كلامنا عنها لم تُعرَض فقط الحيوانات المعروفة في زمننا بل هناك ايضاً امثلة لاشكال متعدّدة قد فُقدت من الكون وانّما وجدوا في طبقات الارض العميقة بعض مستحجراتها فعرضوها مع الاجناس الموجودة حالاً على وجه البسيطة ونظموها في سلكها على مقتضى ما فيها من الخواصّ التي تقرّبها الى الاجناس والانواع الحالّيّة

على انّ اكبر المتاحف التي تُعرَف اليوم مهما تعدّدت معاهدها وغُرفها ومقاصيرها لا تكفي لأن تحصر جميع الحيوانات المعروفة ولا النباتات ولا المستحجرات . لأنّ عدد تلك الاجناس التي وقف عليها العلماء تبلغ اليوم ٢٨٠،٠٠٠ منها مجنّحة بجناحين ومنها ذات اربعة اجنحة جلديّة ومنها غُلافيّة الاجنحة او متناسقة الاجنحة او نصفيّة الاجنحة يضاف اليها عشرون الفاً من الفصيلة العنكبوتيّة هذا ما عدا ثمانية الاف من الديدان وخمسون الفاً من الهُلاميّات ولا يقلّ عدد ذوات الفقرات عن خمسين الفاً منها الطيور (٣٠،٠٠٠) والحيوانات المائيّة البرّيّة (٢،٠٠٠) المُشوكة (٣،٠٠٠) ذوات اثدي مختلفة (٧،٠٠٠) . امّا الحيوانات الاهليّة فهي زهاء مائتين فقط (١

وكما اعتبرنا متحفاً للحيوانات نستطيع ان نتخيّل متحفاً آخر جُمعت فيه كلّ

(١) ورد هذا الاحصاء في مجلّة كوسموس (Cosmos, 3 Oct., 1912)

نباتات المعمور من ادقّ الطحالب الى اعظم الاشجار العادية سواء تجدها اليوم على سطح الارض ام استُخرجت من طبقاتها الباطنة في جملة المستحجرات وكلها ايضاً منظّمة حسب رتبها واجناسها وفصائلها

فاذا قام انسان عاقل بازاء هذه الجاميع المختلفة من الحيوانات او النباتات التي تجري في عروقها او جرت سابقاً مياه الحياة لا بُدَّ ان يخطر على فكره هذا السؤال: ليت شعري من اين استمدّت هذه الكائنات حياتها وكيف تشعّبت فيها شُعَب الحياة فظهرت على هذه الهيئات المتعدّدة التي ندعوها نباتاً او حيواناً ؟ من اين لسلالها هذا السياق العجيب فتتشابه من عدّة وجوه مع اختلافها في خواصّ اخرى ؟ أفيا تُرى يجوز ان نَنسب ذلك الى الصدفة والى الطبيعة العمياء او بالحري الى عاقل ناطق يدلُّ عليه ما فيها من الترتيب وحسن البنية والصورة ؟ وبالاجمال من اين اتى هذه الكائنات ذاك المبدأ المحيي الذي انفذ فيها الحياة ؟

فان طلبت جواباً على هذه الاسئلة اختلفتْ عليك الاجوبة على اختلاف ذوي المذاهب السابق ذكرهم . فانَّ الوحي يجيب بلا تريُّث : انَّ حياة المخلوقات المذكورة بل كلّ مبدأ حياة من الله وحده الذي لم يخلق فقط السماء والارض بل دبّر ونسّق ورتّب كلّ شيء بنظام عجيب كلًّا حسب طبقته من نبات او حيوان او انسان ناطق

أمّا دروين فيجيب ايضاً ان الله هو مُبدع الحياة لكنَّهُ لم يُبدع كلّ هذه الانواع رأساً وانّما خلق منها في بَدء الخليقة بعض افراد النبات او الحيوان فجعلها كأمثلة اوّلية تكوّنت على صورتها الاجناس والانواع بتنادي الاجيال على موجب سنّة الترقّي الطبيعيّ بقوّة العوامل التي سبق التلميح اليها

أمّا هِكسل تلميذهُ فيجيب مستنداً الى مذهب دروين في الترقي مع نفيه كلّ عامل خارج عن الطبيعة فيقول بكل وقاحة: دعوا الله على جنب فانَّهُ اسمٌ بلا مسمًّى امّا المادّة فانّها ازليّة ولا تحتاج الى من يخلقها وكلُّ ما يُرى في الارض انّما هو من منشآت المادّة اصلًا فالحياة ظهرت اوّلًا على الارض بصورة بسيطة جدًّا على شبه خليّةٍ مفردة ثمَّ نمت هذه الخليّة تدريجاً وتحوّلت الى هيئاتٍ مختلفة لا تُحصى مع طول الاجيال الى ان بلغت اخيرًا الى كمال الانسان . فاصل الحياة وكلّ حياة من المادّة والمادّة ازليّة . فهذا مذهب الماديين او الدهريين

فاين الحقيقة يا تُرى بين هذه المذاهب المتنافية ؟ وماذا يقول العلم الصحيح بازاء هذه الآراء المتناقضة ؟ ايلزمنا قول الداريين المولّه للطبيعة ؟ او نكتفي برأي دروين او نرجّح مزاعم العقليين ؟ او بالحري نؤيد ما اوحى بهِ الله في كتبهِ المنزلة عن تكوين العالم مع التوفيق بينهُ وبين ما ثبت للعلماء الثقات بابحاثهم الصادقة؟

## ما يبدأ الوحي والعلوم الطبيعيّة عن اصل الكائنات

### ١ الوحي

انَّ تعاليم الوحي لا تدع لنا ريباً في اصل الموجودات فان سفر التكوين يفتتح كلامهُ بقولهِ : « في البدء خلق الله السماء والارض » ثم يذكر انفصال المياه من اليابسة ويردفهُ بقولهِ تعالى: «فلتنبت الارض نباتاً واشجاراً» حتى اذا بلغ الى اليوم الخامس يقول: « فلتُفِض الارض نفوساً حيَّة على حسب انواعها ... اي الحيوانات» ويختم بقولهِ تعالى: «فلنصنع الانسان على صورتنا وشبهنا »

ولحسن ادراك رواية الكتاب المقدّس لا بُدَّ من القول بانَّ موسى في وصفهِ لتكوين الخليقة لم يقصد بهِ وضع مقالة علميَّة في مبادئ المبروءات وانَّما غايتهُ كانت اوَّلًا ان يثبت شعبهُ في معرفة الاله الحقيقيّ الذي اخرجهُ من ارض مصر ويبعدهُ عن عبادة الاوثان التي سقطت فيها الامم المجاورة لبني اسرائيل . وثانياً ان يجعل سنداً للاسبوع الاسرائيليّ مع تخصيص احد ايَّامهِ لخدمة الله اي السبت . فاذا انعمتَ النظر في رواية الخليقة في موسى وجدتَهُ مقرّرًا لعبادة الاله الحقّ فيصف وحدانيَّتهُ وازليَّتهُ وتكوينهُ لكل ما هو خارج عنهُ نافياً بذلك ازليَّة العالم وموجباً استخراجهُ من العدم ثم يسرد موسى بالتوالي بازاء شعبهِ تفاصيل الخلائق التي أبدعها الله بقدرتهِ اعني السماء والارض مادَّة العالم ثمَّ الشمس ثم البحار واليبس ثم كواكب السماء ثم النبات ثم حيوان البحار (الاسماك) والسماء (الطيور) والارض (الدبَّابات) ثم الانسان خاتمة اعمالهِ عزَّ وجلّ . وبذلك يتحتَّم على الانسان ان يعبد ربَّهُ وحدهُ وخالق العالم بأسرهِ

امَّا تقسيم الخليقة في ستَّة ايَّام او بالحري في ستَّة اطوار من الاجيال فانَّ معظم المفسّرين يرون في ذلك صورة السبَّة التي يعقب ايَّامها الستَّة يومُ راحة كما انَّ الله بعد خلقهِ في الستَّة الايَّام كفَّ عن العمل في اليوم السابع وهذا ما صرَّح بهِ الله في

اعلانه براحة يوم السبت على طور سينا حيث قال (خروج ٢٠ : ١٠-١٢) « في ستّة أيام تعمل ... واليوم السابع سبت للربّ الهك لا تصنع فيه عملًا ... لانّ الربّ في ستّة أيام خلق السماوات والارض ... وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الربّ يوم السبت وقدّسهُ »

قلنا انّ موسى لم يقصد في رواية تاريخ الخليقة كتابة فصل علميّ على انّهُ في وصفه هذا قد أحكم ترتيب انشاء العالم وتوالي المخلوقات بنظام موافق لغايتها فانهُ يذكر اوّلًا تكوينهُ تعالى للاستعدّات واركان المادّة اجمالًا ثم يبيّن عمل الله بخلقه اقسام العالم وتنظيمها في ستّة ازمنة يدعوها ايّامًا . والف سنة عند الله كما يقول الكتاب كيوم من أيام البشر . ومرجع هذه الاعمال الى ثلثة امور تحقّقها علماء الطبقات الارضيّة : الاوّل انّ النباتات سبق في الخليقة وجود الحيوان في البحر والنار (وهذا ما روى موسى في اليوم الثالث) . والثاني انّ ظهور الحيوان في البحار والطيور في السماء سبق وجود الحيوان على الارض (روى موسى ذلك في اليوم الخامس) . والثالث انّ الحيوان انتشر بعد ذلك في الارض وكان الانسان خاتمة مخلوقات الله (وهذا عمل اليوم السادس في سفر موسى) . فا كتفى بتعيين هذه الاطوار الثلثة بسياقها دون ان يصرّح بما طرأ عليها بتوالي الدهر من النموّ والكمال سواء كان ذلك بتوسّط الخالق وتكوينهِ لمخلوقات جديدة ام بفعل النواميس التي وضعها في اوّل الخليقة ولم يُرجع بها في الاسفار المقدّسة

قال الكردينال بيليو اليسوعيّ في تفسيره الفصل الاوّل من سفر التكوين (في مجلّة الابحاث Etudes, 5 Nov. 1918) ما ملخّصهُ : انّ بين مرويّات موسى في سفر الخليقة امرًا من شأنهِ ان يستوقف نظرنا وهو انّهُ ذكر هناك ايّامًا لا تُقاس بحركات الشمس او بكوكب آخر وانّما حدودها زمنُ الأعمال الذي يوافقها وبهِ تمتاز فيبتدئ كلّ عمل من اعمال الخالق ثمّ ينمو ويمتدّ الى ان يبلغ كمالهُ وذلك في مدّة اجيال لا يعرفها الّا الله ولا ينطبق عليها قسم من اقسام زماننا الحاضر . وما هذه الايّام الّا اطوار العالم المختلفة التي وقفت عليها العلوم الحديثة ولاسيّما علم طبقات الارض الذي لا دخل لهُ فيما رواهُ موسى في اليومين الاوّلين وانما ابحاثهُ تبتدئ مع ما ذكرهُ في اليوم الثالث عن الارض حيث اخذت الرواسب تحطّ في قعر البحار

فامكن الحياة ان تظهر وتنشأ على قشرتها بعد ان بردت نوعاً حرارتها الطبيعيَّة . فمن قابل بعد ذلك بين المعلومات الجيولوجيَّة الثابتة ورواية موسى يأخذهُ العجب من توافقها وذلك مباشرةً بأوَّل تركيب البحار واليابسة كما رواهُ في اليوم الثالث مع ما ورد هناك من ذكر نشوء النباتات والاشجار الجبَّاريَّة التي منها تكوَّنت تلك المستودعات الفحميَّة التي استمدَّت منها الصناعة العصريَّة قوَّتها المحرِّكة . وكذلك اليوم الرابع يوافق ما يثبتهُ الجيولوجيُّون عن تقسيم الحرارة والنور نهائيًّا في نظامنا الشمسيّ وبهِ ينتظم اختلاف الاقاليم ولاسيما اليوم الخامس الذي فيهِ جاء وصف ظهور طبقات الحيوان تدريجاً على وجه الارض اعني الحيوانات البحريَّة اوَّلاً ثمَّ البرِّيَّة وفي آخرها كلها الانسان .

هذا ما يُستخلَص من رواية موسى . لكنَّ هناك مشاكل اخرى لم يتعرَّض لها منها مسألة تكوين كلّ نوع من انواع النبات والحيوان فهل خلقها الله منذ البدء او بازمنة معلومة بخواصها الجنسيَّة فبلغت الينا بالتناسل كما خُلقت اوَّلاً مع ما دخل عليها من الاختلافات العرضيَّة المستمرَّة عن طوارئ الزمان والمكان وغير ذلك من العوامل الطبيعيَّة ؟ او يقال بالاحرى انَّ الله خلق اوَّلاً بعض الاجناس الاصليَّة وأمثلة الرُّتب النباتيَّة والحيوانيَّة فهذه الاجناس وهذه الامثلة التي اصطلح عليها العلماء الطبيعيُّون في كتبهم المدرسيَّة قد تحسَّنت ونمت وتكاملت على مدى الدهور بما طرأ عليها من العوامل الطبيعيَّة كحصرها في اقاليم مختلفة واغتذائها بأغذية شتَّى . لم تزل تتحوَّل من تلقاء ذاتها من جنس الى جنس ومن فصيلة الى اخرى كما نراها في عالمنا الحاضر او في بطون الارض بين المستحجرات ؟

فهذان الحلَّان لمشكل تكوين الانواع محتملان ولم تصرِّح الاسفار المقدَّسة بواحد دون الآخر كما انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لم تحتم باحدهما . فتبقى المسألة علميَّة لا تمسُّ الايمان بشيء . نعم انَّ مفسِّري الاسفار المقدَّسة الى اواسط القرن التاسع عشر كانوا يرجِّحون الرأي الاوَّل اي تكوين الله رأساً لكل نوع من انواع الحيوان والنبات وبلوغها الينا ثابتةً كما خلقها الله وهكذا كانوا يفهمون قول الكتاب انَّ الله خلق النبات والطيور والبهائم «كلًّا حسب اصنافهِ» لكنَّ ترقِّي العلوم الطبيعيَّة كعلم طبقات الارض وعلم العاديَّات وعلم النبات وعلم الحيوان استدعى كثيرين من

العلماء حتّى من الكاثوليك الى القول بالرأي الثاني اي بتكوين الامثلة الاصليّة الاولى ثمّ بترقّي الاجناس وتحوّلها بفعل العوامل الطبيعيّة مع طول الزمان

والكنيسة تطلق الحرّيّة للقائلين باحد هذين الرأيين بشرط ان يبقى فعل الخالق مصوناً في تكوينهِ للاجناس الاوّلية التي منها تفرّعت بقيّة الاجناس . اما تكوين الانسان اي الابوين الاوّلين بفعل الخالق فانّ الكنيسة بلسان اللجنة الكتابيّة المبيّنة لتفسير الكتاب المقدّس رسمياً امرت باعتبار رواية موسى حسب منطوقها الحرفي وان لم تحتم شيئاً بخصوص نوع تكوين الانسان وذلك في تاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٩٠٩

٢ العلوم الطبيعيّة

فلننظرنّ الآن ما تفيدنا العلوم الطبيعيّة بخصوص نشأة المخلوقات وانواعها ونُعارض معلوماتها بما استفدنا من الكتب المقدّسة

كلّ يعلم انّ العلوم الطبيعيّة في فروعها المختلفة قد ترقّت ترقّياً عظيماً في غضون القرن التاسع عشر . وكثيراً ما ساعد على ذلك سهولة الاسفار والمواصلات بين انحاء العالم المختلفة والابحاث الجيولوجيّة ودرس الطبقات الارضيّة في عدّة اقطار ثم قابلوا بين معلومات تلك الابحاث ودوّنوا نتائجها فوجدوا في كلّ طبقة من طبقات الارض التي رسبت فوق ركنها الاصلي بتوالي الاجيال بقايا نباتات وحيوانات شتّى وربّما وجدوا فيها هياكل تامّة سالمة من الحيوان ثمّ نباتات كاملة طُمرت قديماً وقت ازدهارها على الارض او في اعماق البحر . وقد اتّصلوا الى بيان ترتيب تلك الطبقات الارضيّة ومنها الى تعريف الازمنة التي فيها طُمرت تلك الكائنات . أجل انّهم لم يستطيعوا تعيين عدد السنين التي بها تكوّنت كلّ طبقة لكنّهم اثبتوا ترتيب تلك الازمنة مع ما تقدّم من مواليدها وما تأخّر

وممّا سهّل ايضاً إحراز هذه العلوم ما أُنشئ في حواضر البلاد من المتاحف فبفضل المواصلات بين سائر البلاد تمكّن كثيرون من جمع اصناف الحيوان وضروب النبات منها حيّةً ومنها مستحجرة فتولّوا ترتيبها على طرائق علميّة راهنة فاثبتوها على حسب رُتبها واجناسها وانواعها وفصائلها لتظهر للعيان حلقاتها واتّصال بعضها ببعض بحيث يحسب الناظر انّهُ يطّلع على مشاهد الطبيعة ومواليدها العمومية بل يرى خلاصة الكائنات المنبثّة على وجه الارض

فكلّ هذه الوسائل أدّت بالعلماء الى وضع معلومات ثابتة يمكن الاستناد اليها ومقابلتها مع المعلومات المستفادة من الاسفار المقدّسة

فالشائع اليوم بين ارباب الجيولوجية انّ الارض كانت في اوّل تكوينها كرةً نارية بردت شيئاً فشيئاً ثمّ جمد سطحها الّا انّ هذا السطح تكيّف على مدى الدهور بتكيّفات متتالية تُرى آثارها الى يومنا. فكثيرًا ما تغيّرت هيئتهُ في نتوآته وجباله واوديته وعلى الخصوص في القرون الاولى بفعل الانفجارات البركانيّة وتراكم البرور الخ فكانت الطبقات المغمورة بمياه البحار ترتفع فيصير بعضها اقطارًا برّيّة وبعضها جزائر. وتكوّنت في بعض الجهات سلسلة اطواد شاهقة وفي غيرها على خلاف ذلك اصبحت اغوارًا عميقة غمرتها مياه الاوقيانوس

ولم تبق القارّات الثابتة على حالتها بل طرأت عليها العوامل الجوّيّة كالرياح والامطار واليبس والثلوج والجليد فلم تزل تفتك بها حتّى اثّرت في كيانها تأثيرًا عظيماً. ومثلها السيول الجبليّة والمثالج والانهار وامواج البحر فانّها كلّها بقوّة احتكاكها وصدماتها غيّرت هيئة الارض فكانت السيول والانهار تسحو التربة وتجرفها وتدفعها الى البحر حيث كانت ترسب في قعره وتطمر تحت ابرانها بقايا النبات والحيوان المعاصر لها

ولنا على ذلك مثال خفيف في ما يحدث في زماننا مع اختلاف قوّة العوامل الجوّيّة وسورة المياه في ذلك العهد القديم. فان علماء طبقات الارض يقوّمون الآن بستّة عشر كيلومترًا مكعّبًا على الأقلّ محصّل الأجرُف الارضيّة التي تحلّلها العوامل الجوّيّة وسيول المياه في كلّ سنة وتسحوها الى البحر. ويضربون على ذلك مثل نهري العراق اي الفرات ودجلة فانهما باجتماعهما في شطّ العرب ونقائهما الى بحر فارس ما يجرفان من التربة يدفعانهِ كلّ سنة خمسين مترًا عن سواحلهِ. وشطّ العرب بالنسبة الى كبار انهار اميركة والهند والصين يُعَدّ من صغار الانهار

فكلّ هذه الأجرف اذا بلغت قعر البحار رسبت فيها واختلطت بما يُجرَف معها من بقايا النبات وهياكل الحيوان وجثث الحيتان التي تموت في البحر والاصداف المختلفة فيتكوّن من هذه المجاميع طبقة من الطبقات الارضيّة التي يدعونها بطبقة الارض الرابعة

وعلى هذا المثال تكونت الطبقة الثانية من انحلال مواد الطبقة الاولى ثم الطبقة الثالثة بتحلل الطبقتين الاولى والثانية

واذا افترضنا ان بعض الطوارئ الطبيعية كالزلازل وغير ذلك ترفع يوماً بعد آلاف من السنين الى ما فوق سطح البحر تلك الطبقة الراسبة في قعره فان علماء ذلك الزمان سوف يجدون في تلك الرواسب بقايا النبات المعاصر لنا والحيوانات التي نرى في زماننا الحاضر

وكذلك يمكن ان نفترض ان انقلاباً أرضياً آخر مع طغيان عرمرمي يحل على قسم من البلاد ويكسوها حمأة كثيفة فيطمر معها النبات والشجر والحيوان المنتشر في تلك الانحاء

فمثل هذه الانقلابات قد حدثت في العصور القديمة بعضها بطوارئ شديدة فاجئة وغيرها بفعل الازمنة البطيء والرواسب المتوالية فانطمرت قارات ارضية قديمة تحت المياه وطفا غيرها ناتئاً من قعر البحار حتى يجوز القول ان كل اقسام الارض وقاراتها كانت تارة في اعماق البحار وتارة مرتفعة عنها . وما يرى فيها من انواع النبات والحيوان المستحجرة في طبقات بلاد مختلفة يدل على ما كان شائعاً منها في اطوار معلومة براً كان او بحراً . وبعض هذه الطبقات سميك جداً حتى ان منها ما يعد من جبال المعمور ويبلغ سمك رواسبها في بعض الطبقات الى نحو خمسين كيلومتراً

فهذه سجلات تاريخ ارضنا مدفونة في طبقاتها المختلفة ويكفي لمعرفة اقدم ما ظهر على ارضنا من المواليد الطبيعية ان نفحص تلك الطبقات مباشرة واقربها الى قشرة الارض الاولية الى اعلاها واقربها عهداً منا . ومن هذا الفحص يمكن اثبات او نفي ما يدعيه الدرويتيون بان في اول الخليقة لم يكون البارئ على الارض الا بعض امثلة النباتات والحيوانات التي منها تسلسلت في تتابع الاجيال بقية انواع النبات والحيوان . ويقتضي ذلك وجود هذه الامثلة في اعمق طبقات الارض واقدم رواسبها ثم وجود تفرعاتها بالتسلسل الى ايامنا في الطبقات المستحدثة

وكذلك لو صحت مزاعم هكل والماديين بقولهم ان الحياة ظهرت من تلقاء ذاتها في بعض الخلايا التي منها تولدت تدريجاً مواليد النبات ثم مواليد الحيوان لانبغى وجود آثار هذا التسلسل في طبقات الارض بحيث نجد اصغرها وابسطها في الطبقات

السفلى ثمَّ اكبرها واكملها في الطبقات العليا

وقد وضع الجيولوجيُّون لهذه الطبقات الارضيَّة اسماء خاصَّة تسهيلًا لدرسها. فالرواسب الحديثة التي اخذت تتكوَّن قبل خليقة الانسان بزمن طويل الى ايامنا هذه تُدعى على اصطلاحهم بطبقة الارض الرابعة (terrain quaternaire) وتحتها بالتدريج الطبقات الثالثة ثم الثانية ثمَّ الاولى التي اقدم رواسبها تعتمد الى قعر الارض الاصلي

ثم يقسم الجيولوجيُّون هذه الطبقات الاربع الى صفائح ممتازة لكل صفيحة منها اسمها الخاص تُعرَف بجنس صخورها وبانواع المستحجرات الموجودة في باطنها دون غيرها

فانَّ بقايا الحيوانات الموجودة في الطبقة الاولى الأبعد عمقاً هي حيوانات بحريَّة اكثرها عديم الفقرات . امَّا النبات فيُرى منهُ باسفل الطبقة بعض اجناس الحُثّ ( algue ) البحري ثمَّ فوقهُ في طبقاته المرتفعة عددٌ لا يُحصى من الاشجار العاديَّة المختلفة الاجناس التي طُمرت بانقلاب الارض ظهرًا لبطن وهي مستودعات الفحم الحجري كنز صنائعنا حاضرًا

وفي صفائح الطبقة الثانية معظم ما وجد فيها من الحيوان زحافات اكثرها مائيَّة عظيمة الاجرام يبلغ طول بعضها من ١٥ الى ٣٠ بل ٤٠ مترًا وكلُّها ذوات اسنان

وفي صفائح الطبقة الثالثة وجدوا عددًا عديدًا من الحيوانات ذوات الاثدي البالغة الكبر منها الطيور العظيمة . امَّا النبات فما وُجد منهُ هو من ذات الفلقتَيْن ( dicotylédonées ) وفي احدث صفائحها تُرى الحيوانات المجترَّة ثمَّ اصناف القرود ثمَّ اجناس الفيلة التي لم يُعرف منها في عهدنا الَّا جنس واحد

واخيرًا الطبقة الرابعة وقد وُجدت فيها حيوانات متعدِّدة اكثرها باقٍ الى يومنا وفي آخرها جميعاً يظهر الانسان

فمن هذه الخلاصة التي انتزعناها من كتب الجيولوجية يلوح انَّ الحياة لم تظهر اوَّلًا كما يزعم الماديّون على صورة خلايا غاية في البساطة بل على صورة نباتات وحيوانات تامَّة البنية ذات نوع معلوم. فانَّ في اقدم طبقات الارض وُجدت حيوانات

بحريّة يدور الدم في شلوشها وعروقها مجهّزة بالاعصاب وبأجهزة تنفّسيّة الخ . اما النبات فاقدم ما وُجد منهُ بعض اشكال غير واضحة التركيب . ثم يليها دون وسيط بين الجنسين تلك النباتات والاشجار العاديّة اصل فحمنا الحجري . وكلّ هذه المواليد العريقة في القدم نباتيّة كانت او حيوانيّة تدهش الناظر باختلاف اجهزتها وانسجتها وصورها ولا شيء فيها يدلُّ على انها كانت مسبوقة بأمثلة اخرى خلفتها . وكثير من اجناس تلك المواليد قد صبر على الدهور فبلغ الى عهدنا

نعم انهُ وجدت بعد ذلك اجناس جديدة على مدى الاجيال الّا انهُ لا يوجد بينها وبين ما سبقها علاقة تدلُّ على انها تولّدت منها . بل لكل جنس خواصهُ في نموهِ فالبعض منها نما وازدهر مدّة قرون عديدة والبعض الآخر بعد ظهوره زمناً معلوماً لا تعود تجد لهُ اثرًا او لم يبقَ منهُ الّا انواع قليلة في الازمنة التالية

وكذلك ترى من جانب آخر رُتَباً كاملة من الحيوانات تظهر في وقت معارم بكامل أهبتها ومميّزاتها دون ان تجد في ما سبقها انواعاً يستطاع القول عنها انها منها تفرّعت كما انها اذا فنيت لا ترى لها خلفاً يمكن القول عنهُ انهُ من مواليدها

هذا ولا ننكر انَّ في ظهور الكائنات المتوالي بعض الترقي من حيث كمال تركيبها من اجناسها المختلفة فانَّ ارباب الطبيعة يعتبرون الحثّ والنبات العديم الزهر انقص كمالاً من النباتات ذوات الفلق الواحد وهذه دون النباتات ذوات الفلقتين . وقد وجدوا في طبقات الارض اوّلاً الحثّ البحريّ ثم النبات العديم الزهر الذي منهُ الخنشار العظيم الشكل في الاراضي الفحميّة ثم الاشجار المخروطة الشكل كالسرو وهي ذات فلق واحد وفي الاخير الاشجار ذات الفلقتين وهو الترتيب النظاميّ الذي يتبعهُ الجيولوجيّون في تقاسيمهم . ولكن هذا النظام المتوالي لا تُرى بين حلقاتهِ علائق تدلّ على التحام قسم بآخر بل تُرى هذه الاقسام مستقلّة ظاهرة بكمالها دون اجناس انقص فأكمل تجتاز بها الى بلوغ كمالها

وكذلك الحيوان يظهر من آثارهِ المستحجرة في طبقات الارض بعض الترقي اذ ظهرت اوّلاً الحيوانات المائيّة العديمة الفقرات ثمّ ثانياً الزحّافات الكبيرة وكبار الطيور ذوات الاسنان . ثمّ ثالثاً الحيوانات ذوات الاثدي كالفيل والقرد ثمّ الانسان الّا انهُ لا يوجد علاقة بين هذه الرتب ولا شيء يمكن اعتبارهُ كتوطئة لجنس آخر

يأتي بعده فانّ في هذه المستحجرات رتباً كاملة وعلى الاقلّ اجناساً ظهرت في طبقات الارض بعدد عديد. منها جنس الصدفيّات المعروفة بأمونيت (ammonites) البالغ انواعها اربعة آلاف نوع وكلّها قد فنيت دون ان يتولّد منها اجناس لاحقة بها كما انّها ظهرت دون ان يوجد قبلها اجناس تفرّعت هي منها

فهذه نتائج المعلومات الجيولوجيّة سوف تمهّد لنا الحكم على مزاعم الدروينيين والماديّين في آرائهم عن ظهور الحياة ونموّها على وجه الارض. لا بل نستطيع ان نقول مع احد اراكنة علم الطبقات الارضيّة المسيو دي لاپاران (M^r de Lappa-rent) مستشهدين بقوله الآتي: يظهر من درس تاريخ كرتنا الارضيّة انّ الحياة لم تدخلها بالتدريج وبترقّي اجهزة الحيوانات بتوالي الازمنة. بل ظهرت بقدر ما يمكننا ان نبدي حكمنا في ذلك في وقت واحد بظهور اجناس شتّى حاصلة على كلّ الكمال الذي تحتمله الاحوال المحدقة بها. فكفى بهذا نفياً لمذهب القائلين بترقّي المخلوقات وتسلسلها (لهُ تابع)

---

# النصرانيّة وآدابها
## بين
# عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الثاني عشر

### العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوّل الاسلام (تابع)

### العادات الدينيّة (تتمّة)

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انّ المسلمين اذا حجّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلّهم يفعلون ذلك احتذاء بنبيّهم.

يأتي بعده فانّ في هذه المستحجرات رتباً كاملة وعلى الاقلّ اجناساً ظهرت في طبقات الارض بعدد عديد. منها جنس الصدفيّات المعروفة بأمونيت (ammonites) البالغ انواعها اربعة آلاف نوع وكلّها قد فنيت دون ان يتولّد منها اجناس لاحقة بها كما انّها ظهرت دون ان يوجد قبلها اجناس تفرّعت هي منها

فهذه نتائج المعلومات الجيولوجيّة سوف تمهّد لنا الحكم على مزاعم الدروينيين والماديّين في آرائهم عن ظهور الحياة ونموّها على وجه الارض. لا بل نستطيع ان نقول مع احد اراكنة علم الطبقات الارضيّة المسيو دي لاپاران (M^r de Lappa-rent) مستشهدين بقوله الآتي: يظهر من درس تاريخ كرتنا الارضيّة انّ الحياة لم تدخلها بالتدريج وبترقّي اجهزة الحيوانات بتوالي الازمنة. بل ظهرت بقدر ما يمكننا ان نبدي حكمنا في ذلك في وقت واحد بظهور اجناس شتّى حاصلة على كلّ الكمال الذي تحتمله الاحوال المحدقة بها. فكفى بهذا نفياً لمذهب القائلين بترقّي المخلوقات وتسلسلها (لهُ تابع)

---

# النصرانيّة وآدابها
## بين
# عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## الفصل الثاني عشر

### العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوّل الاسلام (تابع)

### العادات الدينيّة (تتمّة)

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انّ المسلمين اذا حجّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلّهم يفعلون ذلك احتذاء بنبيّهم.

قال البخاري في الصحيح (٢:١٤٧) : « جاء عُمر الى الحجر الاسود فقبَّلهُ فقال : اني اعلم انك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلعم يقبلك ما قبَّلتُك ». قلنا ولا يبعد ان العرب اخذوا ذلك عن النصارى الذي يقبلون حجارة كنائسهم تعبُّدًا او كحجَّاجهم الى القدس الشريف حيث يقبلون قبر السيِّد المسيح او الحجر الذي صعد من فوقهِ الى السماء في جبل الزيتون وعليه رسمُ أثر قدمهِ المبارك»

وقد سبق لنا ذكر حمام مكَّة ومأمنها من الصيد . ودونك ما رُوي عن حمام الكنائس . روى الطبري في تاريخ (٢:٨٦١) لرجل من بكر بن وائل ونسبهُ في الاغاني (٢:٧٢) لعبد الرحمان بن الحكم

أتَتْك العيسُ تنفخُ في بُراها تُكشِّفُ عن مناكبها القُطُوعُ
كأنَّ مواقعَ الأكوار منها حمامُ كنائسٍ بُغْمٌ وُقوعُ

﴿النذور﴾ يروى عن عرب الجاهليَّة انهم كانوا ينذرون مواليدهم للكعبة . ذكر ابو الوليد الازرقيّ في اخبار مكَّة (ص ١٢٨—١٢٩) عن امرأة اخزم بن العاص الجرهميَّة انَّها كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلاماً ان تتصدَّق بهِ على الكعبة عبدًا لها يخدُمها ويقوم عليها فولدت من اخزم النَّوْءَ فتصدَّقت بهِ عليها فكان يخدمها مع اخوالهِ من بُرْهم . (قلنا) انَّ هذه العادة اعني نذر المولود الى الله كان سبق العربَ اليها اصحابُ الكتاب من يهود ونصارى . وكلّ يعرف كيف نذرت حنَّة العاقر ان ولدت غلاماً تجعلهُ في خدمة الله فولدت صموئيل فوفت بنذرها . وقد ورد في القرآن في سورة آل عمران نذر امرأة عمران (يعني التديسة حنَّة) بابنتها مريم العذراء فخدمَتْهُ تعالى بالمحراب تحت كفالة زكريا الكاهن

﴿ المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ﴾ لا مراء في ان المسلمين اوَّل ما شيَّدوا المساجد لصلاتهم بنوها على صورة الكنائس فضلًا عمَّا حوَّلوهُ منها الى جوامع عند فتحهم البلاد النصرانيَّة كالجامع الاموي في دمشق والجامع الاقصى في القدس الشريف وجوامع حمص وحماة وحلب فكل من يدخل هذه الجوامع من المهندسين يحتم لاوَّل وهلة انَّها من هندسة النصارى الاقدمين كما اثبتنا ذلك في فصل الفنون الجميلة (ص ٣٤٣—٣٥٠) . فلمَّا حاول المسلمون تشييد مساجد جديدة تقلَّدوا فيها الكنائس

النصرانيّة وكان بُناتُها في الغالب نصارى من الروم والقبط واهل الشام لا يعرفون الّا هندستهم الدينيّة

وقد قابل المرحوم ڤان برخم ( M. van Berchem ) بين كل اقسام الجوامع كصحنها ورواقها واركانها وعواميدها وسقفها وقبلتها ومحرابها ومنبرها ومقصورتها ومنارتها وبين الكنائس النصرانيّة واقسامها المختلفة عند ظهور الاسلام وختم بقوله « انّ وضع الجوامع يُشبه شبهاً تامّاً واضحاً بناء الكنائس القديمة (١ » يريد الكنائس المعروفة بالكنائس الملكيّة (Basiliques)

وما نقولهُ هنا اجمالاً عن هندسة الجوامع نستطيع ان نثبتهُ ايضاً لكل قسم منها مفرداً كالمآذن والمنارات التي تقلّدوا فيها الصوامع النصرانيّة وكالمنبر الذي مرَّ لنا ذكرهُ في باب التجارة وهلمَّ جرًّا

﴿ الخطابة في المساجد ﴾ ومما استحدثهُ الاسلام الخطب الدينيّة في الجامع. يروى لصاحب الشريعة الاسلاميّة بعض الخطب التي القاها في قومهِ يذكّرهم ويحضّهم على الاعمال الصالحة وانما تقلّد في ذلك ما وجدهُ من العادات الجارية بين النصارى المجاورين لهُ الذين كان ارباجم وكهنتهم يرشدون في الكنائس رعاياهم. وقد مرَّ لنا فصل في الخطابة بين نصارى العرب في الجاهليّة مع ذكر إمامهم المضروب فيهِ المثل قسّ بن ساعدة

وكان منبر الخطابة بين النصارى رمزاً عن الرئاسة والسلطة الدينيّة . وكذلك اعتبرهُ محمّد والمسلمون بعده. فكان الخلفاء يرقونهُ ايّام الاعياد والصلوات العموميّة فيلقون منهُ الخطب كما كان يفعل اساقفة النصارى في كنائسهم وقد سبق لنا ( ص ١١٩) ذكر العرش الذي اضافوهُ الى المنبر وكان يجلس عليهِ محمّد كما روى ابن الاثير في اسد الغابة وابن سعد في طبقاتهِ. وكان ذلك على مثال العرش الذي يجلس عليهِ

---

١) راجع (Encyclopédie de l'Islam, art. ARCHITECTURE, p. 428b
اطلب ايضاً كتاب سلادين في الفنون الاسلاميّة - H. Saladin : Manuel d'Art Musul-man, I, 7-10 وكتاب تواريخ الاسلام لبرنس كايتاني L. Caetani : Annali dell' Islam, I, 432 ومجلّة الاسلام لبكر Beker, Islam, III, 392 وكتاب الصناعة العربيّة لغايه Gayet : l'Art arabe, p. 27. 85

رؤساء الدين النصراني في كنائسهم

وكذلك اعتاد الاساقفة اذا خطبوا او صلّوا صلاةً عمومية ان يمسكوا بيدهم العصاة الرعويّة المعروفة بالعكّاز . وقد مرّ في خبر قسّ بن ساعدة انهُ كان اذا خطب يتكئ على عصاً (وقيل على سيف) ومما رواهُ البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الصلاة (١ : ١٣٥) «انَّ النبيّ امر بحربةٍ فتوضع بين يديهِ فيصلّي اليها»

وللجوامع مآذن او منارات يؤذنون منها بالصلاة . وهي ايضاً مما تقلّد فيهِ المسلمون النصارى . فانَّ المسلمين كانوا يؤذنون اوّلاً بالصلاة على باب مساجدهم ثمَّ عاوا سطوحها للاذان او اذّنوا فوق اسوار المدن كما ورد في شعر الفرزدق قال (تاج العروس ٩ : ١٢٠) :

وحتّى غدا في سور كلّ مدينةٍ منادٍ ينادي فوقها بأذانِ

ثمَّ اخيرًا تقلّدوا صوامع الرهبان وهي قلالي محدّدة الطرف او أبراج كان يسكنها الراهب لعبادتهِ ويترع منها الناقوس . فصارت المأذنة مرادفة للصومعة . ورد ذلك في كتب الادباء كابي الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ٨٥) اذ ذكر مأذنة المدينة فدعاها ايضاً هناك بالصومعة (١) . وروى عن بعض الموسوسين انهم «كانوا يصفّرون المشايخ في الصوامع اذا اذّنوا» . وفي خطط المقريزي (٢ : ٢٤٨) انَّ معاوية امر مسلمة بن مخلد ببناء الصوامع للأذان في جامع فسطاط العتيق المعروف بجامع عمرو قال «وجعل مسلمة للمسجد الجامع اربع صوامع في اركانهِ الاربع . . . وامر ان لا يُضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر» . وكذلك ورد في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمنيّ (ص ٥٤ Evetts ,.Ed) : «وكان فتوح مصر في المحرّم سنة ٢٠ للهجرة ومن الصوامع ما هو باقٍ الى الآن جعلهم المسلمين مواذن (كذا)»

﴿ المجامر في المساجد والجنازات ﴾ معلوم انَّ النصارى في مناسكهم الدينيّة في الكنائس وفي جنازات موتاهم يضرمون المجامر ويحرقون البخور ويوقدون الشمع والمشاعل قال الحسين بن الضحّاك يصف كنيسةً (البكري ٣٦١) :

عجّت اساقفها في بيت مذبحها اذكى مجامرها بالعودِ والنارِ

وقد روى الترمذي في صحيحهِ (١ : ١١٦) عن محمّد انَّهُ كان يجتمر المسجد قبل

(١) اطلب مجلّة الجمعيّة الشرقيّة الاميركانيّة JAOS., XXX, 132-154, art. GOTTHEIL

فود الجماعة . وذكر ابن الاثير في النهاية (١ : ١٧٥) نعيماً المجمر الصحابيّ قال وهو الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلعم « وهكذا فعل الخلفاء الراشدون بعده ثم معاوية وبعض خلفاء بني اميّة

ومما ورد في كتاب تحقيق النصرة لابي بكر الراغي انّ عمر بن الخطّاب عند رجوعه من غزوة الشام اتى «بمجمرة من الفضّة فيه تماثيل وكان يجمّر بها المسجد ثم توضع بين يدي عمر بن الخطّاب» . ومما ورد في تجمير المسلمين للموتى ما ذكره ابن الاثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٥٤٥) وابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة (٨ : ١٨٧) عن مرضية الصحابيّة قالت : « اراكم تنكرون شيئاً رأيته يُصنع على عهد رسول الله صلعم رأيت الميت على عهد رسول الله صلعم يُتبع بالمجمّر » . وكذلك روى ابن سعد في طبقاته (٨ : ٥٣ — ٥٤) عن عائشة زوج نبيّ الاسلام انه حُملت في دفنها المشاعل من الجريد الملفوف بالخرق والمغموس بالزيت . ثم افتوا بتحريم التجمير وفي صحيح ابن ماجة « انهُ لا يجوز اتباع الجنائز بالمجامر وما يشابهها لأن ذلك من فعل الجاهليّة » يعني النصرانيّة (١

﴿ اكرام القبور ﴾ يروى في الحديث (جامع السيوطي ص ٣٥٧) : « قاتل الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد» كأن صاحب الشريعة الاسلاميّة حزم بذلك اكرام الموتى وزيارة قبورهم . الّا انّ المسلمين لم يعيروا بالًا الحديث المذكور كما يثبت ذلك مألوف عاداتهم في اكرام قبر نبيّهم في المدينة وقبور الخلفاء الراشدين هنالك مع ما يزين تلك القبور من الحليّ ويُوقد فوقها من السُرج ويقدّمون اليها من الهدايا . ومن ذلك يتّضح انّ العادة النصرانيّة غلبت عليهم الّا بعض المتطرّفين منهم كالوهابيين الذين ينكرون كلّ اكرام للاولياء . ومما يستند اليه اهل السنّة في اكرام الاولياء ما رواهُ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٢ ق ٢ ص ٩ — ١٠) « انّ رسول الله صلعم صلّى على اهل البقيع اي قتلى أُحد بعد ثماني سنين» وقد اخبر الواقدي عن فاطمة الزهراء ابنته انّها كانت تخرج الى أُحد لزيارة قبر حمزة عمّ محمّد (٢

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG.1905, 403-404): وتاريخ معاوية للاب لامنس
Lammens: Mo'âwia, (367, 436)

٢) اطلب كتاب الاستاذ غولتسيهر Goldziher: Culte des Saints chez les Musulmans. *Paris*, 1880

﴿الاستشهاد﴾ واخصّ من يكرمهم النصارى شهداء دينهم الذين بموجب وصاة السيّد المسيح فضّلوا الموت في سبيل ايمانهم على الحياة والغنى والشهوات. وليس للنصارى شهداء غيرهم. فرأى صاحب الشريعة الاسلاميّة ما في هذه الميتة الشريفة من المجد فعظّم الاستشهاد ورغّب فيه بالمواعيد الجليلة في الآخرة. لكنّ بين هذا الاستشهاد والاستشهاد النصرانيّ برناً عظيماً. فبينما النصارى لا يعدّون شهيداً الّا من مات لاجل الدين المستقيم ترى المسلمين يكرمون كشهداء كلّ من مات في الحرب والجهاد. بل يعتبرون كشهداء غيرهم ايضاً. جاء في الحديث (جامع السيوطي ص٢٩٣) : « الغريق شهيد والحريق شهيد والغريب شهيد والمدوغ شهيد ». وروى حديثاً آخر (ص٢٧٢) : « الطاعون والغرق والبَطن والحرق والنفساء شهادة لأمتي » وفي صحيح البخاري (٣ : ١٩٣) : « الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله »

## ٢ العمارات الشرعيّة

﴿اصول الشرع الاسلامي﴾ لمّا ظهر الاسلام كان معظم العرب لا يعرفون من الشرع الّا ما يفي بامورهم ويكفي لمعاملاتهم في حياتهم الساذجة. فلمّا فتحوا البلاد الراقية في التمدّن كالشام ومصر والعراق والعجم احتاجوا الى شرائع اوسع وادقّ وكان نصارى تلك البلاد يتبعون الشرائع الرومانيّة التي نقّحها ونظّمها يوستنيان الملك فعليها جرى العرب اوّلاً بمساعدة عمّال من نصارى الروم والسريان والاقباط واثّنوا على بعض نواميسهم الاصليّة في عيشتهم الفطريّة مع ما استخلصهُ الفقهاء من القرآن او الحديث. وبقوا على ذلك الى اواسط القرن الثاني للهجرة اذ ظهر كبار الائمّة كالشافعي وابي حنيفة ومالك وابن حنبل فوضعوا اللفقة الاسلامي اصولاً ثابتة يرجع اليها المسلمون حتّى يومنا هذا. على انّ الذين يدرسون هذا الفقه لا يزالون يقابلون بينهُ وبين الشرع الروماني ويلحظون اشياء كثيرة مصدرها الحقوق الرومانيّة

﴿الدواوين﴾ لا قيام لدولة كبيرة الّا بانشاء دواوين مختلفة يُعهد الى كلّ منها تدبير بعض امورها كبيت المال وتدبير الجُند وديوان الانشاء وديوان التوقيع وديوان الاعمال وديوان الجباية وديوان الخاتم. ولم يكن للعرب الفاتحين دربة في كلّ

ذلك ومن ثمّ اقرُّوا الدواوين على ما كانت عليه قبل فتحهم في ايدي عمّال من نصارى البلاد . وجاء في كتاب لطائف المعارف للثعالبي (ص ١٠) «انّ اوّل من دوّن الدواوين عمر بن الخطّاب عملًا بما قال له رجلٌ: رأيتُ الاعاجم يدوّنون ديواناً لهم فدوّن لنا انت ديواناً فامر بوضع الديوان» على انّ هذه الدواوين تولّاها اوّلًا النصارى لعلمهم بتدبيرها . لنا على ذلك مثال جليل في أسرة ابن منصور الدمشقيّة التي اشتهر منها سرجه او سرجون بن منصور من ندماء يزيد بن معاوية ( الاغاني ١٦ : ٧ ) وكاتب معاوية بن يزيد وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند ( الطبري ٢ : ٨٣٧ ابن عبد ربّه ٢ : ٣٢٢ ) وابنهُ يوحنّا هو ملفان الكنيسة اليونانيّة العظيم المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي . وكان هؤلاء العمّال يكتبون في الروميّة او القبطيّة او الفارسيّة الى ان تمكّن العرب من نظارة تلك الدواوين فنقلوها الى العربيّة وذلك في عهد عبد الملك بن مروان ثمّ الوليد بن عبد الملك

﴿ التاريخ ﴾ كان للامم المجاورة للعرب تواريخ للاعوام والشهور يعرّفون بها ازمنة الوقائع والحوادث المهمّة فكان اليونان يؤرّخون بسني الخليقة وبتاريخ الاسكندر ذي القرنين وبمولد السيد المسيح . وكان الفرس يؤرّخون بيزدجرد بن شهريار او احد ملوكهم وأرّخ العرب قبل الاسلام بعام الفيل او ببعض ايّامهم المشتهرة كيوم جَبَلة ويوم الكُلاب ويوم ذي قار . امّا المسلمون فقيل انّ عمر اوّل من ارّخ منهم في السنة ١٩ او ٢٠ هجريّة تعلّموا ذلك من جيرتهم . جاء في كتاب الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي (ص ٩ ed. Seybold) «انّ رجلًا من المسلمين قدم من ارض اليمن فقال لعمر: رأيتُ باليَمَن شيئاً يسمّونهُ التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا . فقال عمر: انّ هذا لحَسَن فارّخوا» ثمّ اختلفوا في بدء التاريخ الى ان اصطلحوا على سنة هجرة محمّد من مكّة الى المدينة وجعلوا اوّل العام شهر المحرّم لانهُ شهر حرام ومنصرف الناس من الحجّ . قالوا انهُ يوافق يوم الخميس الثامن من شهر ايّار سنة ٩٤٣ للاسكندر (لهُ تابع)

# الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

## في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

### تربية المدرسة المارونية

اثبتنا مبادئ تاريخ المدرسة المارونيّة ونظامها وتدبير شؤونها الماديّة والادبيّة مع ترجمة قوانينها وما نالتهُ من كرم الاحبار الرومانيين من الامتيازات المشعة فضلاً عن الاوقاف الكافية لمعاش تلامذتها

وبقي الاب يوحنا برونو على رئاسة المدرسة المارونيّة في مقامها الجديد من السنة ١٥٨٤ الى ١٥٩٠ وهو يبذل جهدهُ في تمهيد العقبات التي كان يلقاها في طريقهِ مدّة تلك السنين الاولى فذلّلها بحكمتهِ وحسن نظرهِ . وقد ساعدهُ كثيرًا على ذلك الكردينال انطون كرافا محامي الطائفة المارونيّة الذي كان يعتبر هذا المشروع كأعظم خدمة يؤديها للكنائس الشرقيّة ليعيد لها رونقها القديم

ولمّا عاد الاب جوان باطشتا اليانو الى رومية سنة ١٥٨٥ بعد محنتهِ الشديدة في سفارتهِ الى الاقباط عهد اليهِ البابا سكستوس الخامس خلفُ غريغوريوس الثالث عشر وكالة التأنين العظمى فبقي عليها الى سنة موتهِ في ٣ آذار سنة ١٥٨٩ . وكان في تلك المدّة لا يدّخر وسعاً في خدمة المدرسة المارونيّة ونجاحها وكان يكاتب معارفهُ في لبنان ويرسل لهم الصدقات وآنية التقديس ويطّلع على احوالهم الدينيّة . وممّا وقفنا عليهِ في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة المكتوب التالي ارسلهُ الى الاب اليانو من طرابلس في ١١ ايلول سنة ١٥٨٦ ثلثةٌ من اهلها بهذا الامضاء « يوحنا ويوسف وسركيس » ولعلهم كهنة طرابلس الموارنة

السلام الباقي على الاب المكرّم المحب والاخ بالمسيح التس باطيشتا سلّمهُ الله تعالى من كل شرّ وبرحمتهِ الرب ببركة صلواتهِ المقدّسة آمين

ثمّ نعلم سيدنا وعزيزنا اننا نحن بعون الله وبصلواتك طيّبين وشاكرين الله لسمعنا بسلامتك

اذ جئت من مصر طيّب . وانهُ قد وصل الينا من فضلك على يد الخواجا فرنسكو (١ كأس وصينيّة فضّة مطليين ذهب ومبخرتين وقنديل وسطل وسخّانة نحاس لغسل اليدين واشحيم فرنجي وعتيقة (٢ . واما دوايات الكتابة الذي اوصاك عليهم القس جرجس والبلسم ( والبلسم ) فاذا بعثت لنا منها شيْ . ونريد من فضلك واحسانك ان تبعث لنا عودة قدّاس كاملة وتاج وبلم وكتاب العتيقة يكون بخط عبراني ولفظ سرياني مثل الصغير الذي كان معك والدهن الذي وعدتنا به لقطع الدلف . واكتب لنا حقّ الحوائج الذي تبعثهم لنا كم تكون حتى نرسل لك حقّها كما يريد خاطرك . ونريد من فضلك ان تقبل لنا ايادي سيّدنا البابا وتشاوره ان يرسل لنا ورقة من جهة الصوم والاعياد حتى بدستورهِ نمشي على ربتكم لانّ ذمّتنا تدلّنا باختلاف الطائفة عنكم

اما امر القس سركيس فهكذا كان . لمّا اراد البطرك ان يرسل الحصروني ام حبقوق ام غنطوس ما احد منهم اراد ان يدخل رومية من شأن خمّ الاسطا ( كذا) . ومن بعد ما جلب البطرك واحدًا منهم جاء لعندنا وقال : أبعث القس سركيس . وتوافقنا معهُ وقنا هنأناهُ . ومن بعد ما وصلتْ لطرابلوس قام البطرك والحصروني عملوا شور غير ذلك ما عرف ايش بدا لهم ومن ايش الرب يعلم . كنت بعتهُ من كل قلبي لكن الحصروني جاءنا خبر انهُ تكلم غرائب وقال انا كنّا طلبنا ان تأخذ رعيّة البطرك واشتكى علينا الى البابا وانّنا مخالفين الكنيسة ورتبتها . الله يجازيه . وباين رجع الينا وهو يقول انه جاء من رومية ميّت من الجوع بلا زوّاده وباب معهُ بعض اوراق كتب نُوّبات واشيئات ايش تريدهم كان لنا خاطر ان تطبع كتب الكنيسة على يدك كما يريد الله وكما تعرف انت لكن ايش في خاطر البطرك والشرح طويل . وبعد السلام والباقي على الدوام في محبتك الحقير يونان واخوته كل واحد باسمه ومن المطران يعقوب . كُتب في طرابلس ١٤ ايلول سنة ١٥٨٦ مسيحيّة . عبودية محبتك بالمسيح يونان يوسف وسركيس

فيؤخذ من هذه الرسالة انّ الموارنة في رومية باشروا بطبع كتبهم الطقسيّة في غيبة الاب اليانو . وقد سبق انّ الكردينال انطون كافاً كان استدعى لهذه الغاية الخوري يوحنا ايوب الحصروني فنشر بالطبع كتاب الجنازات المعروف بالنويسة . الّا انّ الطائفة كانت في حاجة امسّ الى كتاب القداس والشحيم . وكان الاب اليانو يفكر في تنقيحها وطبعها ويحثّهُ على ذلك الكردينال كافاً لولا انّ الموت عجّلهُ قبل ابراز فكرهِ الى الوجود

وفي السنة ١٥٩٠ قام خلفاً على رئاسة المدرسة المارونيّة الاب ايرونيموس فوروفتي الروماني بعد الاب يوحنا برونو ولا نعلم أكان ذلك بسبب موت الاب برونو أم

١) نظنّ انهُ كان قنصل البندقيّة في طرابلس واحد تجارها

٢) يريد بالعتيقة توراة العهد العتيق

لوظيفة اخرى عُهدت اليه . وبقي الاب فوروفتني ستّ عشرة سنة في تدبير المدرسة (١٥٩٠–١٦٠٦) فجرى على آثار سلفهِ وعُني عناية عظيمة في ترقيتها . وفي اوّل سنة رئاستهِ كتب البطريرك سركيس يطرس الرزّي الى رئيس عام الرهبانيّة اليسوعيّة الاب كلوديوس اكوافيفا يستدعي سبعة من التلامذة الذين كانوا على ما يظهر انهوا دروسهم فحان وقت سيامتهم كهنة . وها هوذا الكتاب :

هذه هي نسخة الكتاب المترجم

البركات المتواترات مع السلام الروحاني الذي خصَّ بهِ سيّدنا تلاميذهُ في الفرقة الصيونيّة فذلك السلام بعينهِ يكون مع الاخ العزيز العالم المعلّي الدين الخيّر المعلّم العامل في وصايا ربّهِ ذو الفهم والعقل والمعرفة صاحب الراي الصالح والتدبير الناجح المتروّس على الجوقة الاطهار اليسوعيّة ابونا المحب الجنرال (كلوديوس اكوافيفا) تكون البركة حالّة عليك وعلى تلاميذك القسوس والشمامسة كل واحد باسمهِ وعلى رزقكم ومقتناكم ويجلّ الرب ويبسط امنهُ وسلامهُ وطاعتهُ ورضاهُ وبركاتهِ وباقي خيراتهِ عليكم وبينكم آمين

والمعروض على المسامع الكريمة كرّمها الله انهُ وصلت الينا اخبار اعمالك الصالحة انت وتلاميذك اولادنا الذين يتعلّمون في المدرسة وفرحنا وانشرحنا غاية الانشراح وخصوصاً في تكريمكم ابن اخي الشماس سركيس الله يجازيكم الخير في ملكوت السماء امين . ونُعلم محبتك بانا ارسلنا نجيب من الاولاد سبعة لمنذ اهلهم والقصد من محبتك ان يكون نظرك عليهم وتوصي فيهم حتّى يصلوا الى بلادهم . وابن اخي الحبيب حضر عندي وهو يقبّل ايديك ويوصيك في اخيهِ سركيس حتّى يكون نظرك عليهِ وتصلّي عليهِ حتّى يصل هو ورفقاه بالسلامة لمنذ اهلهم وبها تسل منهم من الخير تسلوهُ منا . وعند عيشتك فهم يُغني عن طول الشرح ونكرّر البركة عليك وعلى كل من يلوذ بخدمتك امين والشكر لله على الدوام

برز من دير قنوبين في جبل لبنان المبارك

سنة ١٥٩٠

ونكلف خاطرك يا اخي ان تكلم عزيزنا الكردينال خرافان (كرانّا) ان يخلي الاولاد جانين من المدرسة مجبورين الخاطر ولا يتعب علينا في سفر مجيئهم لمنذ اهلهم ومن شان بشة الاولاد

فمن هم يا تُرى هؤلاء السبعة الذين طلب البطرك سركيس الرزّي رجوعهم الى لبنان من تلامذة المدرسة المارونيّة وباكورة اثمارها في خدمة مواطنيهم ؟ ان البطرك سركيس لم يذكر منهم سوى سيّدٍ سركيس ابن اخيهِ . وكذلك الدويهي في تاريخهِ لم

يرو شيئاً عن رجوعهم وانّما ذكر فقط عرَضاً (ص ٤٤٤) «انّ يوحنّا دايس بن يعقوب الحصروني عاد الى لبنان سنة ١٥٩٠ ثمّ لبس لسكيم مار عبدالاحد وصار اسقفاً ». أمّا الخمسة الباقون فنظنّ انهم اوّلاً التلميذان اللذان قدما اوّلاً الى رومية سنة ١٥٧٨ اعني جبرائيل سعد الادنيتي وكسار القبرسي ثم يعقوب بن سمعان الحصروني الذي اتى مع يوحنّا دايس سنة ١٥٨٠. أمّا انطون فرنسيس الحصروني ومرقس بن اسطفان البطوشي رفيقاهُ فان الاوّل كان مات في رومية كما قال الدويهي (ص ٤٤٤) والثاني مرقس طلب الدخول في الرهبانيّة اليسوعيّة فقبلهُ الرؤساء لكنّه توفي قبل دخولهِ الدير بعد ان نذر النذور الثلثة كما اخبر الاب سكّيني في تاريخ الرهبانيّة اليسوعيّة (ج ١ ك ٥ ع ٣٤). ثمّ المدعوّان القس ميخائيل والخوري نعمة الوارد كتابهما الى رئيس عام الرهبانيّة اليسوعيّة بعد رجوعهما الى لبنان ولعلّهما جبرائيل نعمه وميخائيل صليب السابق ذكرهما. وهذا هو المكتوب الذي حرّرهُ هذان الاخيران الى الاب كلوديوس اكوافيفا باسمهما واسم رفقتهما يشكرانهِ ويشكران الرهبانيّة اليسوعيّة التي اهتمّت بتهذيبهم في المدرسة المارونيّة (من سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة):

تقبّل الارض وغني جامتنا تحت موطئ اقدام الاب المتنون الرحوم الطاهر الحاذق الماهر المتلئ نسكاً ومواهب من روح القدس الذي هو مزيّن في جميع الاصطلاحات والفضائل العالي في العلوم الروحيّة الذكيّ في اعمالهِ البهيّة قائد غنم سيّدهِ يسوع المسيح في الطريق المستقيمة مرشد الناس الى طريق الحياة السراج المضيء بين الشعوب والشمس التي بشعاعها تضيء الدنيا وجميع اقطارها القمر البهيّ بين النجوم حافظ الوصايا الالهيّة عود البيعة القاتوليقيّة السائر في الطريق الابوسطليّة وهو معلّمنا وابونا وعزّنا ورافع طائفتنا نحن الموارنة وتاج رأسنا الجنرال (كلوديوس اكوافيفا). يرحمنا الرب نحن الحقيرين في تلاميذك الكهنة الرهبان الخوري نعمة والقس ميخائيل في بركة صلاتك المقدّسة امين. ادام الله محبّتك علينا ورئاستك على طائفتنا وعلى مدرستنا نحن الموارنة زمناً طويلاً وايّاماً كثيرة امين

ونُعلم روحك اننا وصلنا نحن وارفاقنا الى بلادنا طيّبين بعون الله وبركة صلواتك المقدّسة امين. اخوتنا الرهبان شاكرين فضلك واحسانك عوّض الله عليك الخير الذي عملتهُ معنا ومع ديورتنا يجازيك الله عوضاً عنّا في ملكوتهِ السماوية امين. ونُعلم قداستك اننا قبل ما نظهر من المدرسة بيومين كنّا مشتاقين ان تتبارك من قداستك وسألنا المدبّر لكي يسمح لنا بذلك فقال لنا انّ قداستك رحت الى برّا المدينة. واما نحن تلاميذك الرهبان ما دمنا طول ايّام حياتنا ساكنين في ديورتنا ما ننسى فضلك واحسانك وحنّيتك علينا برّا بلادنا. وما نحتاج ان نوصي قداستك بالأولاد (الباقين في رومية) لان الاب لا يحتاج الى وصيّة باولادهِ لانّهم اذا كانوا

مريضين طيّبين الخاطر جميع ايّام حياتهم يطلبون لك الخير . وسبب تحرير هذه الرسالة هو كثرة الاشواق الى نظر ايقونتك البهيّة الله يسمّنا عن قدومك الاخبار الصالحة

الحقير القس ميخائيل والخوري ضمه
في ٢٩ آب سنة (الف وخمسمائة) وتسعين مسيحيّة

ولا نشكّ في انّ هؤلاء السبعة بعد رجوعهم اخذوا يفلحون كرم الرب بنشاط ويسعون في خير طائفتهم . الّا انّ آثار تلك الازمنة لا تكاد تروي شيئاً عن اعمالهم وسوف ندوّن مع جدول اسمائهم ما عثرنا عليه من اخبارهم

وفي السنة ١٥٩٣ رجع الى لبنان جرجس عميره الذي صار بعد ذلك بطركاً على الطائفة . فهذا بعد وفاة الاب اليانو اهتمّ مع بعض رفقته بطبع كتاب القدّاس الماروني في مطبعة الديشيس في رومية فطبع سنة ١٥٩٤ طبعاً متقناً بحرف سرياني جميل ونقوش وصور الّا انّهم لم يحسنوا انتخاب المخطوطات التي مثّلوها للطبع فنشروا نوافير بعض اليعاقبة ولم يصلحوا ما فيها من آثار هرطقتهم واذ لم يكن في رومية من يُحسن اللغة السريانيّة لم تنقّح هذه الشوائب . على انّ المجمع المقدّس شعر بهذا الخلل ولم يسمح بنشر الكتاب الّا السنة ١٦٠٨ وفي آخره ترجمة مار مارون منقولة الى السريانيّة عن ناودوريطس بقلم ثلثة من تلامذة المارنة في رومية هم جرجس الكرمداني وميخائيل الادنيتي وجبرائيل الصهيوني

وفي الصفحة ٢٨٦ انّ الكتاب طُبع في رومية باذن الرؤساء في السنة الرابعة لاقليمس الثامن في زمن الكردينال باليوتي (الذي خلف الكردينال كرافا في حماية المارنة) وفي عهد البطريرك سرجيوس الرزّي

وقد جاء نشر هذا الكتاب المنقوط احسن مجرّ لما وُشي به الاب جوان باطشتا اليانو حيث قيل عنهُ انّهُ انّهم في رومية الطائفة المارونيّة واشاع عن كتبهم الطقسيّة ما لا صحّة لهُ مع ما نعرفهُ من خلوص محبّة الاب اليانو للموارنة ودفاعهِ عنهم وتفانيهِ في خدمتهم . وعليهِ يسوّغنا ما رواه الدويهي في تاريخهِ عن البطريرك سرتكيس (ص ١٨٢ — ١٨٣) قال :

وفي السنة ١٥٩٦ ( ١٠٠٥ ه ) في الثامن عشر من ايلول امر البطريرك (سركيس الرزّي) بالتئام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبّة وعلماء الطائفة وبعد قراءة مكتوب البابا (اقليمس الثامن) برهن امامهم وامام قعّاد الكرسي الرسولي انّ اخاهُ البطريرك ميخائيل والطائفة كلها ابرياء

من التهم التي اتّهمهم بها باطلاً جوان باطستا . ولمّا وقف الاب دنديني على اقرار علماء الطائفة وفحص الكتب التي كان وقف عليها روسيها بخطّهِ تحقّق انّ كلّ ما اتُّهموا به هو محض تجنّ

فالعجب كلّ العجب من البطريرك سركيس لاحتجاجهِ على الاب اليانو في ما قالهُ عن كتب الموارنة وهو كان احد الشهود العيان في فحص هذه الكتب معهُ ولا نطلب ردًّا على قولهِ سوى هذا الكتاب المطبوع قبل تجتيهِ بسنتين مع اسمهِ الكريم وبمساعي ابناء طائفتهِ . ولو كان اطّلع عليهِ الاب دنديني لكان امكنهُ ان يدافع عن شرف اخيهِ السنيور الرسولي الاب اليانو الذي كان اعلم منهُ بالسريانيّة والعبرانيّة والعربيّة

واعجب من ذلك كيف نفى البطريرك بسركيس ما كتبهُ عن شقيقهِ وسلفهِ البطريرك ميخائيل الوزّي ناكرًا ما اقرَّ بهِ عن كتب الموارنة التي افسدها الهراطقة وهو القائل في المكتوب الذي نشرناهُ سابقاً (ص٥٣—٥٤) الى ونيس الرهبانيّة اليسوعيّة حيث يثني كل الثناء على الاب اليانو ويطلب منهُ ان يرسلهُ ثانياً الى لبنان وهناك يقول : « انهُ (اي الاب اليانو) قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط » . وجاء مثل ذلك في تقرير الاب اليانو الذي قدّمهُ للحبر الاعظم وفيهِ يذكر الكتب التي وقف عليها فوجدها ملوّثة بالاضاليل على انّهُ لم ينسب ذلك الى سوء نيّة او هرطقة صوريّة بل الى الجهل وبعض الظروف فقال (ص٢٩) : « انهُ بتمادي الزمان وبسبب اختلاطهم مع الامم والطوائف المخالفة لدينهم قد تسرّبت الى كتبهم بعض الاضاليل ودخل في طقوسهم ورتبهم بعض الشوائب التي سبّبها قلّة المعلّمين الذين يُعتنون بارشادهم . . . وقد دوّنّا هذه النصوص المضادّة للحقائق الكاثوليكيّة » . ونحن بيّنّا سابقاً انهُ يوجد الى اليوم في مكاتب اوربّة مخطوطات مارونيّة كالتي وصفها الاب اليانو . وكفى بهذا تزكيةً لذلك الرجل العظيم الذي تشهد لهُ كلّ آثارهِ الباقية الى اليوم وتنبئ بغيرتهِ في خدمة الطائفة المارونيّة ولو لم يكن لهُ من الفضل الّا سعيهُ في انشاء المدرسة المارونيّة في رومية لكان ذلك اكبر دلائل محبتهِ نحوها

(له تابع)

# مطبوعات شرقية جديدة

**Aug. Périer:** 1°) Yahiâ Ben Adi, un Philosophe arabe Chrétien du X^e Siècle - 2°) Petits traités apologétiques de Yahiâ ben Adi avec traduction française. 2 *vol. in*-12. *pp.* 228 *et* 135. *Paris J. Gabalda et Paul Geuthner*, 1920

الفيلسوف النصراني العربي يحيى بن عدي ومقالاته

لله الشكر الذي اوحى الى حضرة الكاهن اوغسطين بيريه بتوجيه نظره الى احد مشاهير فلاسفة النصارى في القرن العاشر ألا وهو الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي اليعقوبي النحلة إمام العلوم المنطقية في القرن العاشر للمسيح. فانّ هذا الرجل العظيم الذي عارض بسعة علمه ووفرة معلوماته ابا نصر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا كما يتّضح من جدول مؤلفاته التي سردها ابن ابي اصيبعة في كتابه تاريخ الاطبّاء. وابن القفطي في اخبار الحكماء. وابن النديم في الفهرست قد بلغ في العلوم النصرانيّة مبلغاً قلّما بلغه احد من اهل ملّته فصارت تآليفه الدينيّة هذه على آفات الدهر بخلاف غيرها من تآليفه وقد اسعدنا الحظّ بنشر بعضها في مجلّة المشرق الّا انّ عدداً عديداً منها لم يزل مخزوياً في بطون المكاتب الكبرى ولاسيما في باريس ورومية حيث كنّا استنسخنا منها قسماً. وقد اطّلع عليها في هذه السنين الاخيرة حضرة الكاهن بيريه فأعجب بها واتّخذها مادّة لتآليفين قدّمهما لجامعة باريس لينال بهما امتيازات اللفنة. فنرى في الواحد تعريف ذاك الفيلسوف النطاسي وترجمة حياته وجدول تآليفه المفقودة والباقية مع انتقاد ما لم تأخذه يد الضياع انتقاداً علمياً بناه على اصول اللاهوت والفلسفة الراهنة مميّزاً ما في تآليفه من القوّة والضعف ومن الغثّ والسمين مقرّاً بسموّ فضله وسعة مداركه في عاصمة الدولة العبّاسيّة حيث امكنه رغماً عن دينه ان يُلفت اليه نظر اهل زمانه. أمّا الكتاب الآخر فقد ضمّنه ثماني مقالات لاهوتيّة جدليّة ليحيى بن عدي في اثبات اخصّ العقائد النصرانيّة مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويّة وقد ذكرهناك ما سبقنا ونشرناه منها في المشرق. وقد اضاف الى المقالات خلاصة جواب ابن عدي على اعتراضات فيلسوف العرب يعقوب الكندي على النصرانيّة وختمها بجدول

الالفاظ الفلسفيّة التي لابن عديّ مع ترجمتها الى الفرنسويّة . فترى ما في هذين الكتابين من الفوائد الجليلة التي من شأنها ان تزين مكاتب المستشرقين والشرقيين

Les Saints : S^t Jean Berchmans ( 1599 - 1621 ) par Hippolyte Delehaye. S. J., *Paris, V. Lecoffre-Gabalda*, 1921, *pp.* 170

ترجمة القديس يوحنّا بركمانس

ألّف هذا الكتاب حضرة الاب ديلهاي البولنديّ الشهير في ايّام الحرب الاخيرة وهو ملقى في الحبس بتهمة الالمان المستولين على وطنه بلجيكة ثمّ اعاد فيه النظر بعد نجاته فنشره بمناسبة الاعياد القائمة في هذه السنة لاكرام القديس بركمانس ونظمه في مجموع تراجم جديدة للقديسين يراقب نشرها احد اعضاء الاكاديمية الفرنسويّة المسيو هنري جولي (H. Joly) تحت اسم «القديسون» ( Les Saints ) وكلّها مكتوبة بقلم مشاهير الكتبة جامعةً بين صدق الرواية وبلاغة الانشاء. فكفى باسم الاب ديلهاي تنويهاً بفضل هذه الترجمة الجديدة التي كتبها بقلب مفعم حبًّا لوطنه ولخير الشبّان وطلبة المدارس الذين يجدون في يوحنّا بركمانس مرآة كلّ فضائل الناشئة الكاثوليكيّة

ل . ش

Ed. Driault : La Question d'Orient depuis ses origines jusqu'à la Paix de Sèvres (1920), *Paris. F. Alcan, S^e éd.*, XI-479, 1921

المسألة الشرقيّة

لهذا الكتاب شأن عظيم لأنّهُ وحدهُ يشمل بنظره سائر المسألة الشرقيّة ولا عجب انهُ بلغ طبعتهُ الثامنة . ومع اقرارنا بفضل المؤلف في اقسامه الجوهريّة قد وجدنا في دقائقه عدّة اغلاط كان يسهل على صاحبه ان يتحاشاها فصحّف مثلًا (ص٨) اسمي اجنادين والقادسيّة فكتبهما (Aïznadin, Kadéniah) . جعل برابرة افريقية من عنصر سامي (ص٤٩) . زعم ان لا سنّة للشيعة غير القرآن وان المعتزلة ينكرون وحي القرآن (ص ١٠) . ومن رواياته الغريبة انّ السلطان سليماً وجد في اليمن رجلًا من سلالة العبّاسيين فباع منهُ حقوق الخلافة (ص٢٨) . وقد خلط (ص١٥٣) بين الامير بشير الثالث ابن قاسم ملحم وبشير الثاني المالطيّ الكبير . وهناك عدّة تواريخ غير مضبوطة . فهذه الشوائب من شأنها ان تمنع المدارس من اتخاذ كتابه كدستور للتعليم .

ولا نظنّ ان ارباب السياسة يوافقونهُ على ما كتبهُ (ص١٤١–١٤٣) عن مصير الاستانة اذ يريد ان تُعطى ملكاً لليونان - الاب ه . لامنس

J. Vêndervorst :Israël et l'ancien Orient (Préface du Cardinal Mercier ) .*Bruxelles, Dewitt*, 1915. *XVI–424, pp., in-8°, 9 pl. hors texte, nombreuses figures et une grande carte à part.*

الشعب الاسرائيليّ والشعب القديم

يسرُّنا ان نفيد قرّاءنا الكرام عن صدور هذا الكتاب النفيس الذي ظهر في ايّام الحرب فتأخرنا عن وصفهِ . وضعهُ احد تلامذة المدرسة الكتابيّة في القدس الشريف الكاهن فندرفرست الملقّن في اللاهوت والمعلم في مدرسة مالين الاكليريكيّة وقد ضمّنهُ من تاريخ بني اسرائيل في الشرق القديم ما يحتاج اليهِ كهنة زماننا وذلك على نسق مدرسي واضح قريب المنال فنوصي بهِ طلبة المدارس الاكليريكيّة ونتمنّى ان يعرّبهُ احد كهنة وطننا او يحذو حذوهُ اذ ليس في لغتنا ما يوقفنا على تاريخ بني اسرائيل في نور الاكتشافات الحديثة التي توضح كثيرًا من اسرارهِ . والكتاب المذكور يسدّ هذا الخلل ويفيد من هذا القبيل عموم اهل وطننا . وقد قسمهُ المؤلف الى ستّة اقسام تتناول تاريخ شعب الله من اصلهِ الى عهد ملوكهِ ثمّ من الملوك الى فتح الاشوريين للسامرة ثمّ منهُ الى جلاء بابل ثمّ من الجلاء الى الاسكندر ثمّ من الاسكندر الى دخول بومبيوس الى اورشليم سنة ٦٣ق م ثمّ من عهدهِ الى كسرة بركوكبا سنة ١٣٥ب م ويلي هذه الاقسام عدّة ملحقات مفيدة اوّلها رسالة من رسائل تلّ العمارنة ثمّ كتابة الملك ميشا ثمّ جداول ملوك الكلدان وبابل واشور وفراعنة مصر وملوك اليهود والسامريين . وفي آخرهِ خارطة كبيرة لا تحتوي مع كبرها الّا اعلامًا قليلة . ولنيافة الكردينال مرسيه مقدّمة في صدر هذا الكتاب حرّرها في وسط ميدان الوغى الاب س . ر .

- Sir Percy-Sykes :-A.History of persia, 2d ed. London, Macmillan and C°, 2 vols., 1921, 8°, XXVIII-563 et XX-594 pp., cartes et illustrations.

تاريخ العجم

هي هديّة نفيسة امتحفنا بها متولّي طبع هذا الكتاب بمجلّدين ضخمين ضمّنهما السير پرسي سيكس تاريخ العجم منذ اصولهِ الى عهدنا . وقد كان طبعهُ اوّلًا قبل

ستّ سنين اذ كان ضابطاً . ثمّ كُرِّر آخرًا طبعهُ بعد ترقيتهِ الى رتبة جنرال واضاف اليهِ تاريخ العجم الى زماننا حتّى اواخر الحرب الكونيّة . على ان الله قد توفّى الجنرال قبل نهاية طبعهِ فقامت قرينتهُ المصونة بهذا العمل احسن قيام . والحقّ يقال انّ المؤلف خدم وطنهُ بتأليفهِ خدمةً مشكورة اذ لم يكن قبلهُ للانكليز سوى تاريخ مَلكولم المطبوع قبل مئة سنة بنيّف فسدَّ هذه الثلمة عُني بتصنيفهِ مع انتظامهِ في الجنديّة ليستفيد منهُ ضبّاط دولتهِ وقناصلها . ولذلك نهج فيهِ منهجاً عمليّاً يرشدهم في تصرُّفهم . وهناك جدول واسع للتآليف التي راجعها في وضع تاريخهِ وتحقيق معلوماتهِ . فاخذنا العجب من وفرتها حتّى كاد يستوفي جموعها . وزد على ذلك انّهُ استشار في وضع كلّ قسم من كتابهِ الاختصاصيين من مواطنيهِ واستفاد خصوصاً من ملحوظاتهِ الشخصيّة اذ قضى في العجم ٢١ سنة حتّى ادرك مكنونات صدور اهلها وامتزج بهم امتزاج الماء بالراح . ومن ثمّ يمكننا ان نثق برواياتهِ ملءَ الثقة وان لم يقصد بكتابهِ العلماء الاختصاصيين بل جمهور الوطنيين . وينتهي المجلّد الاوّل الى تاريخ هارون الرشيد . وخصّص ١٦٠ صفحة من الثاني لتاريخ الحرب الكونيّة في جهات العجم . ويزين هذا الكتاب تصاوير عديدة فوتغرافيّة وغيرها منها في المتن ومنها على حدة وهي اشبه بتحف يمثّل للعيان احوال تلك البلاد . وزد عليها سبع خوارط بديعة اربع في المتن وثلاث خارجة عنهُ الواحدة منها تمثّل الشرق الادنى مع اسماء بلدانهِ القديمة والثانية تحتوي وصف العجم الحاليّة وافغانستان والثالثة جزيرة العرب وفقاً للاكتشافات الحديثة . فكفى بهذه الاسطر بياناً لمحاسن هذا الكتاب الذي يقوم مقام مكتبة واسعة توقفنا على كلّ احوال العجم . ومن ثمّ لم نستقلّ ثمنهُ البالغ ٣ جنيهات ونصف للمجلّدين .

س . ر

P. Loti : La mort de notre chère France en Orient. 1 *vol. in*-16. *Paris. Calmann-Lévy*, 1920. *Prix*, 6fr,75

آخرة فرنسة في الشرق

عُرف پيار لوتي منذ زمن طويل بميلهِ الى تركيّا قبل الحرب وفي اثنائها . وقد ثبت على سياستهِ هذه حتّى بعد الحرب فانّهُ صنّف اربعة كتب ليدعو وطنهُ الى مصالحة الاتراك . وهذا الكتاب الذي ظهر في العام الماضي اشبه بصوت النذير يكرّر

فيه الاطلاع على مواطنيه لمصافحة تركيّة فتراهُ في كلّ تآليفهِ يدقّ على هذه النغمة. وستعلم قريباً ما سيؤول اليهِ امر البلاد

Rouillon : Pour la Turquie. Documents, 2e *éd., Paris. Grasset*, 1921. 1 *vol., in*-18, *Prix* 4 *frs*

مآثر لجانب تركيّا

المسيو روليون احد جنود فرنسة في الشرق ما رسخت قدمهُ فيه حتّى انكشفت امامهُ حياة اهليهِ واحسّ بما تنطّب عليهِ من الاوهام في حقّ الشرق قبل قدومهِ الى تلك البلاد. وصمّم العزم على ايقاف اهل بلادهِ على حقائق الامور عند عودته الى الوطن. والحقّ يقال انّهُ ما لبث بعد الاعلان بالصلح ان قام بهذا الامر متصرّاً للحقّ وللعدل معاً. وكان المسيو روايرن قبل خروجهِ من فرنسة يتصوّر الاتراك على غير حقيقة احوالهم فلمّا اضطرّتهُ واجبات الحرب الى التقرّب منهم في اوطانهم وجد فيهم من الصفات ما حبّبهم اليهِ وبعد عودتهِ الى بلادهِ صنّف هذا الكتاب لوصف مزاياهم وشمائلهم الحسنة وهو بذلك يوافق ما كتبهُ پيار لوتي ودي فازيز وطارو اخوان. ونحن لا نعارضهُ في كثير ممّا كتبهُ الّا اننا نراهُ ايضاً كالمذكورين قد تسرّع في حكمهِ ولو عاشر الاتراك زمناً مديداً لرأى فيهم من الخلال ما لم يستطبهُ واعلن بهِ كثيرون ممّن عرفوهم حقّ المعرفة ج. لوقنك

Sokolov (Dr Boris) : Le Voyage de Cachin et de Frossard dans la Russie des Soviets (Faits et Documents), traduit du russe par Lydia Krestovsky. 2e *éd., Paris, J. Povolosky et* (Cie. *in*-8e, *Prix* 6fr,50

رحلة كاشين وفروسار الى روسيّة ومعاينة السوفيات

انّ الانقلابات السياسيّة التي حدثت في روسيّة استدعت الاشتراكيين الغربيين ان يوفدوا اليها في صيف السنة المنصرمة وفوداً ليقفوا على احوالها. لكنّ المتولّين على امور روسيّة خافوا من تلك المراقبة واسرعوا الى استقبال تلك السفارات وراقبوا اصحابها الى الامكنة التي اعدّوها لهم دون ان يسمحوا لهم بمعاينة الاهلين وفحص الامور بذاتهم لئلّا يطّلعوا على صحّة احوال الدولة فينشروها في بلادهم بعد رجوعهم. الّا انّ الفرنسويّين المدعوّين كاشين وفروسار افرغا كسانة جهدهما لكي يخرجا من تلك الدائرة الضيّقة فتمكّنا من غايتهما واجتمعا على قدر استطاعتهما

خفيةً بكثيرين من سكّان روسيّة من جميع الطبقات ونقلا معلوماتهما فنشراهما في هذا الكتاب وبيّنا في اية هوّة اصبحت روسيّة وانّ الشعب الذي كان لينين واصحابهُ وعدوهُ بالمواعيد البالغة هو اليوم على وشك البوار ج . ل

**Landau-Aldanov (M. A) : LÉNINE, 1 vol. in-8°, 4e éd., Paris, J. Povolozky et Cie, s. d., Prix 6fr.50**

لينين ضابط الجمهوريّة الروسيّة

منذ ضبط لينين زمام الامور في روسيّة تعدّدت في وصفهِ الكتابات ولعلّ هذا الكتاب احسن واوفق ما كُتب عنهُ وهو لأحد مواطنيهِ الواقف على عجرهِ وبجرهِ والمطّلع على كل امور البولشفيين . ويؤخذ من مضامينهِ انّ لينين ليس بيهودي ولا المانيّ مثل كثيرين من ذوي حزبهِ وانّ اسمهُ الصحيح ايليتش دوليانوف ولد سنة ١٨٧٠ في سنبرسك وكان ابوهُ مستشار الدولة واحد عمّال وزارة المعارف فسعى بتهذيب ابنهِ وتعليمهِ الدروس الشرعيّة لكنّ الشاب مال الى اهل الثورة اقتداء باخيهِ الذي حُكم عليهِ بالإعدام لكيدهِ كادها ضد حياة القيصر اسكندر الثالث . فجرى لينين على مثالهِ وانتظم في سلك الاشتراكيين الذين تفرّعت منهم البولشفيّة فأُوقف وسُجن ثم نُفي من وطنهِ . وفي الحرب الاخيرة حبسهُ النمساويّون ثمّ اطلقوا سراحهُ فذهب الى سويسرة واندمج بشاغبيها . ولمّا حدثت في روسيّة ثورة ١٩١٧ عاد الى وطنهِ وتصدّر بنفوذهِ في مجلس امّتهِ حتّى نيطت بهِ الامور وصار صاحب الحلّ والربط . ويصرّح المؤلف في هذا الكتاب بدهاء لينين ومكرهِ واتخاذهِ كلّ الوسائط مهما كانت قبيحة لبلوغ غايتهِ فاصبحت روسيّة بفظاظتهِ وجورهِ منقعاً للدم وهبطت بعد عزّها لاسفل دركات الذلّ والهوان ج . ل

## فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة

طُبع ثانية بنفقة وعناية الاديب ميخائيل افندي رحمه

بيروت سنة ١٩٢١ (ص٢٩٧)

لم تقلّ هذه الطبعة الجديدة عن الطبعة السابقة حسناً واتقاناً مع ما يلقاهُ الطابعون من المشقّات لغلاء المواد المطبعيّة وانما اراد جناب متولي طبعهِ ان ينشرهُ في اوّل قدوم سيادة باسيليوس قطّان مطران بيروت الجديد على طائفتهِ لينال باكورة بركاتهِ وقد

تقبّل سيادتهُ هذه الهديّة الثمينة وارسل اليهِ من القاهرة رسالة اثنى فيها على غيرتهِ ونشاطهِ تجدها في اوّل الكتاب وكنّا لولا ضيق المكان اثبتناها بحرفها الشائق

## خواطر روحيّة

للقس واصاف كرم اللبناني

بطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٢١ (ص ٩٥)

هي خطب مختصرة القاها حضرة المؤلف في ادبرة اخوتهِ الرهبان لبنانهم الروحي وتعزيز دعوتهم السامية في قلوبهم فعساها تثمر في تلك التربة الجيّدة اثاراً شهيّة تبلغ المئين والمئة وتبهج نظر السماء وتعود على الطائفة والوطن بالخيرات العميمة

## التربية في العائلة

للسيو فيلكس تورما عرّبهُ عن الافرنسيّة وديع رشيد شهاب

طُبع بطبعة طبّارة في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٢١٩)

هذا الكتاب من اوسع واجمع ما نُقل الى يومنا الى العربيّة في التربية العائليّة وقد راجعنا بعض فصولهِ فرأينا المؤلف حسن نظر واعتدالاً في امور تهذيب الاولاد. فهو يستقري احوال الابوين في اختلاف مقامهما في المجتمع الانساني ويتتبّع اطوار حياة اولادهما منذ اوّل نشأتها الى اقترانهم بالزواج ويراقب سلوكها معهم في تربيتهم الماديّة والادبيّة والدينيّة والمدنيّة فوجدناهُ في كلّ ذلك ناهجاً نهجاً موافقاً للروح العصري دون تطرّف. واخصُّ ما رمى اليهِ كشف زلّات الوالدين في تلك التربية وجهلهما غالباً قواعدها الصحيحة. ولسنا نقول انّ الكاتب مُصيب في كلّ اقوالهِ وانّما يوضح آراءهُ بكلّ صدق واستقامة. فلا بأس من اعتبار كلامهِ بتروٍّ والعمل بهِ بفطنة وعلى كل نشكر جناب الامير معرّب هذا الكتاب المفيد ل. ش

# شذرات

﴿ الحمّى الملاريّة وعلاجها عند العرب ﴾ لمّا احتلّ العرب في اوّل الاسلام انحاء الهند والعراق وجدوا فيها بعض البلاد الموبوءة فأنهكتهم حمّياتها وطلبوا لها علاجاً. وقد روى ياقوت في مادّة «بجضوة ما حرفهُ:

تقبّل سيادتهُ هذه الهديّة الثمينة وارسل اليهِ من القاهرة رسالة اثنى فيها على غيرتهِ ونشاطهِ تجدها في اوّل الكتاب وكنّا لولا ضيق المكان اثبتناها بحرفها الشائق

## خواطر روحيّة

للقس واصاف كرم اللبناني

بطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٢١ (ص ٩٥)

هي خطب مختصرة القاها حضرة المؤلف في ادبرة اخوتهِ الرهبان لبنانهم الروحي وتعزيز دعوتهم السامية في قلوبهم فعساها تثمر في تلك التربة الجيّدة اثاراً شهيّة تبلغ المئين والمئة وتبهج نظر السماء وتعود على الطائفة والوطن بالخيرات العميمة

## التربية في العائلة

للسيو فيلكس تورما عرّبهُ عن الافرنسيّة وديع رشيد شهاب

طُبع بطبعة طبّارة في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٢١٩)

هذا الكتاب من اوسع واجمع ما نُقل الى يومنا الى العربيّة في التربية العائليّة وقد راجعنا بعض فصولهِ فرأينا المؤلف حسن نظر واعتدالاً في امور تهذيب الاولاد. فهو يستقري احوال الابوين في اختلاف مقامهما في المجتمع الانساني ويتتبّع اطوار حياة اولادهما منذ اوّل نشأتها الى اقترانهم بالزواج ويراقب سلوكها معهم في تربيتهم الماديّة والادبيّة والدينيّة والمدنيّة فوجدناهُ في كلّ ذلك ناهجاً نهجاً موافقاً للروح العصري دون تطرّف. واخصُّ ما رمى اليهِ كشف زلّات الوالدين في تلك التربية وجهلهما غالباً قواعدها الصحيحة. ولسنا نقول انّ الكاتب مُصيب في كلّ اقوالهِ وانّما يوضح آراءهُ بكلّ صدق واستقامة. فلا بأس من اعتبار كلامهِ بتروٍّ والعمل بهِ بفطنة وعلى كل نشكر جناب الامير معرّب هذا الكتاب المفيد ل. ش

# شذرات

﴿ الحمّى الملاريّة وعلاجها عند العرب ﴾ لمّا احتلّ العرب في اوّل الاسلام انحاء الهند والعراق وجدوا فيها بعض البلاد الموبوءة فأنهكتهم حمّياتها وطلبوا لها علاجاً. وقد روى ياقوت في مادّة «بجضوة ما حرفهُ:

شكا قومٌ من اهل حِضْوة الى عمر بن الخطّاب رض وباء ارضهم فقال: لو تركتموها. فقالوا: ماشتنا ومعاش إبلنا ووطننا. فقال عمر للحارث بن كلدة: ما عندك في هذا؟ فقال الحارث: البلاد وبيئة ذات الادغال والبعوض هي عنّ الوباء. ولكن ليخرج اهلها الى ما يقاربها من الارض النديّة الى تربيع النجم وليأكلوا البصل والكراث ويباكروا السقي المريّ فيشربوه وليسكوا الطيب ولايمشوا حفاةً ولاينامواً بالنهار فارجو ان يسلموا فامرهم عمر بذلك»

﴿ الحُمّى التيفوئيديّة ﴾ قرأنا في جريدة علميّة فرنسويّة انّ الفرويين من اهل فرنسة اذا أُصيبوا بالحُمّى التيفوئيديّة ينجون منها بالعلاج الآتي: يعمدون الى طلاء (لبخة) من البصل يفرمونهُ ثم يسحقونهُ ثم يجعلونهُ على رجلي المريض بحيث يحيط بهما الطلاء تماماً ثم يتركونهُ بعد سبع او ثماني ساعات فيشفى المريض من حُمّاهُ. وقد اشاع هذا العلاج احد الكهنة الفرنسويين فاصاب نجاحاً عظيماً. وقد اثبتت لنا احدى راهبات المحبّة في الثغر صحّة ذلك بتجربتها

﴿ الجزء الثاني من الوقائع الماسونيّة ﴾ مهما سعى صاحب هذه المجلّة ان يبيّض الحبشيّة الماسونيّة فانّهُ يُضيع صابونهُ. وفي هذا الجزء الثاني من التمويهات والخرافات والدّعيات الكاذبة ما اشرنا اليه في عددنا السابق. ولو اردنا تفنيد كل فصلٍ بفصلهِ لاتّسع بنا المجال. وان كان صاحب الوقائع الماسونيّة صادقاً فليردّ على كلّ ما نشرناهُ في كتابنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » حيث اوردنا نصوص ارباب العشيرة الدالّة على نقضهم لأساس الدين والمجتمع الانساني في كلّ البلاد

﴿ الحيوانات المثلة وتفاوتها في الذكاء ﴾ هو عنوان فصل في مجلّة الهلال التي اعتادت نشر غرائب الامور دون تمحيصها ببودقة الانتقاد. وفي هذا الفصل اشياء كثيرة حاول الكاتب ان يقنع بها القرّاء انّ للحيوان الاعجم فهماً كالانسان فضرب مثال قرود وكلاب وافراس قضى اصحابها السنين لتعليمها بعض الحركات الشبيهة بحركات الانسان. وكلّ ما صحّ من ذلك لا يتجاوز بعض النباهة والذكاء الغريزي ليس الّا. امّا ما دلّ على عقل كالقوس الحاسب الذي صوّرهُ هناك (ص١٥٤) فقد اثبتنا سابقاً في المشرق كيف استدلّ العلماء على حيلة صاحبهِ لتعليمهِ بعض اشارات الى ارقام توضع امامهُ. فكان الاحرى بصاحب الهلال ان يروي ذلك ولا يدّعي انّهُ تعلّم الجمع والطرح والضرب والقسمة. فيضلّل القرّاء بهذه السفاسف

﴿ البدلة اللاتينيّة عند المرارنة ﴾ قلنا في جواب سابق (ص٤٧٦) انّ البدلة

اللاتينيّة دخلت عند الموارنة في اوقات مختلفة بالتدريج بما اهداهم الكرسي الرسولي من البدلات المتعدّدة على يد المرسلين اللاتين . وقد اعترض علينا في ذلك من رومية حضرة الخوري لويس الحاذن بقوله في انّ ذلك يرتقي الى عهد اينوشنسيوس الثالث كما ورد في منشوره المؤرخ سنة ١٢١٥ حيث يقول (المجمع اللبناني ص١٦٦) : «راسين للاحبار المقيمين ببلاد الموارنة ان يجروا في استعمال الملابس الحبريّة وشعارها الملائم لمقامهم حسب عادة اللاتينيين صارفين عنايتهم الى تطبيق كلّ ذلك على اصطلاحات الكنيسة الرومانيّة» . ( قلنا ) اوّلاً ان الكلام هنا ليس عن عموم الكهنة بل عن الاحبار . (ثانياً) لا نظنّ انّ هذا الكلام يتجاوز درجة الرخصة والسماح باستعمال الملابس اللاتينيّة . (ثالثاً) وعلى رأينا انّ ما اتّخذهُ خاصّة الاحبار الموارنة من اللاتين ماورد ذكرهُ في مقالة حضرة الاب لامنس عن الاخ غريزون وجبل لبنان (في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٥٨) « اعني الخاتم والتاج والعكّاز» . (رابعاً) وما يؤيد قولنا ما كتبهُ الاب دنديني في سفارتهِ الى لبنان سنة ١٥٩٦ حيث يقول في الفصل الرابع والعشرين من رحلتهِ انّ بدلة الموارنة تشبه الفنّارة اللاتينيّة ثمّ يردف ذلك بقوله : انّ بدلتهم ليست كبدلتنا الّا ما يُرسل اليهم من رومية على تفصيل بدلتنا . وهذا نصّهُ الواحد (في طبعة باريس سنة ١٦٧٥ ص ١١١) :

Ils ne se servent point de Manipule ni d'Estole, et ils n'ont point de Chasubles semblables aux nostres, si ce n'est qu'on leur en envoye de Rome toute taillées à nostre faron. Mais au lieu de Manipule, ils portent sur les deux bras deux pièces de drap de soye ou de laine teinte, qui sont cousues à l'Aube, ou qui en sont détachées, et ils passent l'Estole à leur cou par une ouverture qu'ils y laissent, le reste estant joint partout. Elle est au moins large d'un bon demi-pied, et leur pend devant l'estomach jusqu'aux pieds. Ils prennent ensuite la Chasuble, qu'ils ne font point passer comme nous par la teste, ny descendre devant et derriere; mais estant tirée de dessus les épaules pour la faire avancer sur la poitrine, elle joint en cet endroit, comme si c'était une Chappe, avec cette différence seulement qu'elle va jusqu'à terre par derriere, et non pas par devant

﴿ اديب الشوير ﴾ نُعي الينا من قصبة الشوير احد ادبائها المعدودين المرحوم جرجس همّام توفاهُ الله في وطنهِ في ٥ تموز المنصرم عن ٦٥ سنة . وقد فقدت بهِ الآداب احد رافعي منارها كمعلّم في مدارس بلادنا وكمؤلف عدّة تآليف مدرسيّة احرزت لصنفها شهرة منها ايضاحهُ على مقالات اقليدس في الهندسة الابتدائية وكتاب مدارج العلوم ومدارج القراءة ومعجم الطالب والكنوز الابريزيّة في اللغتين العربيّة والانكليزيّة وغير ذلك

# أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد القس ي. غ ما قولنا في كاهن عهد اليهِ المؤمنون توزيع حسنات قداديس ليقدمها هو او غيرهُ من الكهنة على نيّتهم فخدع برجلٍ غريب ادّعى الكهنوت ووكالة جمعيّة قدوس كان يتجوّل وعهدَ شواهد على استقامتهِ وصلاحهِ فسلّمهُ الكاهن عدّة حسنات واخذ وصولها ثمّ ظهر بعد ذلك مكر جامع الحسنات وتبيّن انّهُ نصّاب ليس بكاهن. أفيجب على الكاهن المخدوع ان يوفي هو القداسات التي سُلّمت حسناتها ؟

الكاهن موزّع حسنات القداسات المخدوع

انّ المجمع المقدّس في قرارهِ المؤرخ في ٢٥ ايار سنة ١٨٩٣ والذي قيّد بهِ الطوائف الشرقيّة في ١٨ آب من تلك السنة يأمر بألّا يعطي الاساقفة حسنات القدّاسات لغير كهنة ابرشيّتهم ما لم يعرفوا الكهنة الغرباء ولا ريب لديهم مطلقاً في صلاحهم ويتحقّقوا بعد زمن معلوم وفاءهم للقدّاسات المذكورة

وفي قرار المجمع المؤرخ في ١٠ أيار سنة ١٩٠٤ يفرض المجمع على الكهنة الموزّعين لحسنات القدّاسات ان يوفوا بذاتهم تلك القداسات اذا تأكدوا عدم وفائها لسبب من الاسباب كموت الكاهن قبل وفائها او غير ذلك من الحوادث

وقد جاء في الحقّ القانوني المطبوع حديثاً في البند ٨٣٣ انّهُ من الواجب على موزّع القدّاسات أن لا يسلّمها الّا لكهنة يعرفهم حقّ المعرفة ولا شكّ في صلاحهم ( omni exceptione majores ) او يستند في ذلك الى شهادة اسقفهم الخاص المرضي بهم . وفي البند ٨٣٩ انّ الكاهن المكلّف بتوزيع القدّاسات يبقى مقيّداً بوفائها الى ان يعلمهُ الكهنة ببلوغ الحسنات وقبولهم وفاءها . ومن هذا يتّضح انّ الكاهن الذي خدعهُ النصّاب لا يزال ملتزماً بوفاء الحسنات المفقودة ي . مونجان

س وسأل آخر ما معنى اسم الشوكولاتا ومن اين اصلها ؟

الشوكولاتا واصلها

ج اسم الشوكولاتا من لغة الهنود في المكسيك وهي مركبة من كلمتين معناهما ماء شجرة الكاكاو ولمّا دخل الاسبان الى المكسيك تعلّموا استحضارها منهم وادخلوها اوربّة سنة ١٥١٣ كما ادخلوا قبلها التبغ الذي وجدوهُ شائعاً بين الوطنيين في العالم الجديد

ل . ش